طرائق المعالجة الشعبية

تناولنا فيما سبق بعضاً من الممارسات العلاجية التي يمكن للمريض أن يعالج بها نفسه دون الاستعانة بالطبيب الشعبي. وأما الحديث هنا فيختص بالممارسات العلاجية والجراحية التي يمارسها الطبيب الشعبي وتدخل في حيز التخصص.

التوليد

لم تكن الولادة تحتاج في القديم إلى إشراف طبي، وهي -بداهة- ليست من الحالات المرضية. ومن المشاهد في ذلك الوقت أن تضع بعض النساء حملهن أثناء العمل؛ إما في مزرعة أو وهي في البر ترعى المواشي أو تجمع الحطب، أو وهي تمشي غادية أو رائحة، فتضع مولودها وتأتي به للبيت. وهذه معونة من الله لها أسباب، منها رياضة الجسم بالاستمرار بالعمل قبل الحمل وبعده، فتجد ولادة الخادمة أسهل من ولادة المخدومة غالباً. ومنها اليأس من مجيء قابلة، فلا تتطلع الحامل إلى مساعد ومعالج مما يشد عزمها ويقوي صبرها، فالنفساء إذا تطلعت توترت أعصابها وسبب لها ذلك عسر الولادة.

ويعرض للحامل شيء من التغيرات الجسدية والنفسية ولذلك تسمى فِرْثى، ومن ذلك رغبتها في أكل أطعمة معينة، وكراهيتها لأطعمة أخرى أو كراهتها لأماكن، وقد يبلغ ببعضهن أن تكره زوجها، وقد يؤدي جهل هذا الأمر إلى الطلاق. وكانت النساء يتجنبن المحاذير وما يسبب أضراراً للجنين، فتحاذر المرأة الحامل أسباب الشمم؛ وهو تعرض الجرح للروائح مما يسبب التهاباً إذا قربت ولادتها، فتتجنب العطورات الحادة

والريحان وبعض الأعشاب (التويجري ١٤١١، ج٢: ٧٨-٧٩).

وهناك عادات قديمة متوارثة كانت تتبع عند ولادة المرأة، تتصل بالمرأة ومولودها. وقد اندثرت بعض تلك العادات، إلا أن بعضها ما زال قائماً. وتقوم بعض تلك العادات المتوارثة على اعتقادات خيالية، منها مثلاً أن الأم بعد الولادة كانت تصطحب معها عندما تذهب إلى أي مكان في المنزل -بخاصة الحمام- أداة مصنوعة من الحديد، مثل مفتاح من المفاتيح الحديدية القديمة الكبيرة، أو ملقاط جمر أو الأداة التي تحمص بها القهوة، أو سكين أو محش، أو أي أداة حديدية أخرى. وتحمل الأم، عادة، هذه الأداة الحديدية باليد اليمنى، وعندما تعود إلى مضجعها فإنها تضعها بجانبها. وتستمر هذه الأداة مصاحبة لها مدة أربعين يوماً. والاعتقاد السائد لحمل هذه الأداة الحديدية هو أنها تطرد الشياطين أو الجن أو الأرواح الشريرة.

ومن تلك العادات أن يُجَهز للأم بعد الولادة صُرَّة من المر، تشمها بين فترة وأخرى، خاصة عندما يزورها الأقارب والأصدقاء والجيران. والاعتقاد السائد أن شم المر يضاد مفعول الروائح الأخرى التي يستعملها الزوار، وتقي من الشمم الذي قد يؤثر على جروح المرأة الناتجة من الولادة. ومن المعتقدات السائدة -خاصة في بعض مناطق الجنوب النائية- أن الحبل السري للطفل عندما يقطع يدفن في داخل المسجد، معتقدين أن الطفل عندما يكبر سوف يحب المسجد ويعتاد عليه. ومنهم من يدفن الحبل السري في أرض زراعية، من أجل أن يحب الطفل الزراعة والفلاحة عندما يكبر. وهناك دعابة تُقال في بعض مناطق المملكة عندما تتكرر زيارة شخص لمكان ما وهي «يافلان كن سرك مدفون هنا»، أو «كأن سرك مقطوع هنا»، يعني أنه يحب هذا المكان.

ومن العادات أيضاً أن المرأة بعد الولادة تتكبَّى يومياً على بعر جمال مزمنة (أي بعر الجمال التي مر عليها الحول)، حيث تؤخذ وتحرق في مبخرة، وتتبخر عليها المرأة النفساء يومياً، لاعتقادهم أن دخان البعر مطهر للرحم. ومن العادات الموجودة في القصيم أنه عند بداية طلق الحامل تكبّى. والكبو يكون إما من هدب الأثل، أو خليط من مواد مختلفة، شاهي أو مرّه، أو قشور بصل ونحوها. ويعتقدون أن الكبو يقي من الشمم ويساعد على الولادة.

وعندما كانت الولادة في البيوت، كان يتولى التوليد أقارب المرأة أو بعض

النساء ذوات الخبرة في التوليد. وكانت النساء يلدن واقفات أو جالسات، ولذلك قد يُشَد إلى السقف حبل تتمسك به خشية أن تسقط. وتحتاج الوالدة لمن لديها خبرة بالولادة فهي ترشد الوالدة إلى جملة من الأوضاع والحركات تساعدها في الولادة وخاصة إذا تعسّرت الولادة بأن تغيّر اتجاه الجنين أو تأخر خروجه، لأن الأوضاع الخاطئة ربما تسببت قبيل الولادة بارتفاع الجنين ونزول الماء من الرحم قبل ذلك، وهذا فيه خطر شديد. وإن تعسّرت الولادة عمدت المولّدة إلى تنفيض الحامل بطريقة مخصوصة فتسهل ولادتها ويعتدل الجنين فيخرج. وقد تحتاج الوالدة إلى من يشجعها على الزحير، وهو محاولة الضغط بتقليص عضلات البطن لدفع الجنين. وفي المثل «بنت تعلّم أمّه الزحير»؛ ويضرب لمن يرشد غيره بما هو أعلم به منه. وقبل فترة من الولادة يجهز مكان خاص تُفرش أرضيته بالرمل النظيف، وعندما يبدأ الطلق تجلس المرأة على الرمل الذي يسخن بالنار (مَلّه)، فهو يساعد على ارتخاء أعضاء المرأة وسهولة الولادة، إضافة إلى أن الرمل يسهل عملية النظافة حيث يمتص الدماء ونحوها مما يخرج أثناء الولادة، وما يخرج بعد نزول الجنين وهو الكيس الذي كان فيه داخل الرحم ويسمى البشيمه.

وعندما يسقط رحم المرأة بعد الولادة، فإن للبدو تدبيراً حسناً لإرجاعه، حيث يأمرون المرأة التي سقط رحمها بأن تجلسَ على مخدتين متباعدتين بعض التباعد، وتَشُدَّ رجليها في اتجاهين متضادين، ثم يحضرون صحفة بها ماء دافىء وملح، ثم يغمس الرحم الساقط في الماء الدافىء، ويغسل جيداً بيد نظيفة، ثم يجفف بقماش نظيف، ويدهن بعد ذلك بسمن دافىء نظيف، ثم يعاد الرحم إلى مكانه، ويشد الفخذان جيداً بعضهما إلى بعض، وتضجع المرأة على ظهرها، مع وضع مخدة كبيرة لترفع رجليها المشدودتين إلى أعلى، وتؤمر بعدم الحركة حتى تشفى، ويستقر الرحم في مكانه الطبيعي، وتتعرض الوالدة بعد نزول الجنين إلى طلق آخر يشبه طلق الولادة ويسمى الحسّ.

الطهار

هو الختان أي قطع الغلفه، وهي الجلد الذي يغلِّف الحشفة (رأس الذكر). فقد عرفته الشعوب السامية والحامية من قديم الزمن. وكان الفراعنة يختنون الذكور والإناث. ولم يكتفوا في ختن

الذكور بقطع الغلاف الذكري فقط، بل كانوا يسلخون الجلد حوله أيضاً.

وكان أول من أمره الله عز وجل بالختان هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي اختتن، وكذلك أولاده. وقد عمل نبينا محمد ﷺ بهذه السُنَّة. وكانت قريش قبل الإسلام تختتن، ولا يختن غلام من غلمان قريش إلا في دار الندوة، وقد كانت ثقيف أيضاً تختتن. وكانت العرب ترى عدم الختان عيباً. وجاء في لسان العرب «وتزعم العرب أن الغلام إذا ولد في القمراء فسحت قلفته فصار كالمختون». وبعد الإسلام أصبح جميع المسلمين يختنون أولادهم بناء على وصايا الرسول ﷺ للمسلمين الواردة في الختان. ومنها قوله عليه الصلاة والسلام «خمس من الفطرة؛ الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب». كما وردت عنه عدة أحاديث أخرى في الأمر بالختان، وعدَّه من سنن المسلمين.

وفي بعض البلاد الإسلامية يعجلون في ختن الصبيان، فيجعلونه من اليوم السابع لميلاد الطفل. وفي بلدان أخرى يؤجلون الختان إلى ما بعد الولادة بسنوات، ويقيمون الولائم والاحتفالات، ولهم تقاليد خاصة وعادات معروفة للختان.

إن الحكمة من الختان هي منع المواد والإفرازات الضارة أن تتجمع تحت غلاف الحشفة فتتكاثر فيها الميكروبات، وقد ينتج عن نشاطها روائح كريهة وأمراض شتى. فقد ثبت أن الشعوب التي لا تعرف الختان يكثر في رجالها إصابة عضو التناسل بالأورام السرطانية، كما أن السيدات المتزوجات من رجال لم تجر لهم عملية الختان، قد يُصَبن بأورام سرطانية في عنق الرحم.

وفي أغلب مناطق المملكة تسمى عملية الختان بالطهار أو التطهير، ولعل ذلك مأخوذ من الطهارة من الأوساخ التي تتراكم في طيات الرغله.

ويصاحب الختان في بعض المناطق مظاهر احتفالية خاصة إن كان المختون فتى. فبعد أن ينتهي الختّان من عمله يتظاهر المختون بعدم الاكتراث ويصيح وسط الغطرفة قائلاً عُلّها يامطهّر، أي كرر عملية الختان.

وكان للختان في البادية عادات سيئة مخالفة للسنة يعدها الناس نوعاً من الشجاعة والبطولة. وتتم عملية الختان في بادية المنطقة الجنوبية في المملكة، في أواسط أو أواخر العقد الثالث من عمر

الشاب، وفي المدن في العقد الأول أو الثاني من عمر الشاب. وقد أبطل الإمام الإدريسي في منطقة جازان تلك العادات في الختان، وأمر بأن يُجرى الختان في دور الحكومة وتحت إشرافها للاقتصار على ختان السُّنَّة. وظلت الاحتفالات المصاحبة لعملية الختان على ما كانت عليه، حتى جاء العهد السعودي الذي قضى على تلك العادات السيئة، وأَدَّبَ كل من يخالف شرع السنة بالأدب الرادع والتنكيل الزاجر. فزالت تلك البدع واختفت تلك العادات. ونورد فيما يلي وصفاً لتلك العادات، والاحتفالات الشعبية، التي كانت تقام لتلك المناسبات التي يطلق عليها اسم الهود في جنوب المملكة. فيقال «عند آل فلان هود»، أي عندهم مناسبة ختان.

ففي جازان يبدأ الهود بيوم الحناء، الذي يُدعى فيه الشاب الذي سيختن، ويسمى الدرم، ويُدعى معه رفاق صباه وأقرانه للحضور. وفي صبيحة يوم الدعوة يجتمعون في المكان المهيأ لذلك، ويقعدون على أَسرَّة، تعرف بالقعائد، ثم تقبل عليهم إحدى العجائز ومعها وعاء كبير من الفخار، يسمونه حيسيه، مَلِيء بمعجون الحنا. فتُحنِّي، أي تصبغ أو تخضب، قدمي الدرم وأقدام رفقائه، بين الزغاريد والابتهاج وقرع الطبول والغناء والرقص، إلى حين تناول طعام الغداء، فتعد لهم مائدة حافلة. وبعد صلاة العصر تُدَق الطبول وتقام رقصة السيفي، ثم يخرج الجميع إلى ميدان البلدة. وهناك تقام العرضة حتى غروب الشمس، فيذهب الناس لأداء صلاة المغرب، ثم يعودون إلى الرقص. وتُقرع الطبول، وينشد الشاعر ما يسمى دلعْ، يشيد بالختين وأهله، وتدار حلقة الدلع. ثم يسيرون راقصين إلى بيت الدرم. وفي الليل تقام رقصة، تعرف باسم الزيفه، وتستمر الاحتفالات على قدر حالة ومكانة أهل الدرم. فقد تقتصر على يوم وليلة، وقد تستمر ثلاثة أيام، أو أسبوعاً.

ويتوجه الدرم إلى بعض القرى لدعوة أصدقائه، ويسمى هؤلاء المدعوون بالمطاليب، ويشعرهم مقدماً بميعاد وصوله حيث يسير الدرم مع جماعة من قومه إلى البلدة المقصودة ومعه الدقاقون (الطبالون). وعند دنوِّه من البلدة تقرع الطبول وتطلق الأعيرة النارية، فتخرج القرية وعلى رأسها الشخص المطلوب (مفردُ مطاليب) مستقبلة القادمين بالزغاريد وإطلاق الأعيرة النارية. ويدخلون البلدة وتقام لهم ضيافة يشترك فيها أهل تلك البلدة وتقام العرضة، ثم يعود القادمون

إلى قريتهم. وبعد ذلك يوجه المطلوب الدعوة إلى أعيان شباب البلدة، ويسيرون إلى بلدة أو قرية الدرم. ويكون وصولهم في آخر يوم من حفلة الختان.

ويقبل المطاليب إلى قرية الدرم بطبولهم وأزيز طلقاتهم النارية، فيخرج الدرم وذووه ورفقاؤه، بطبولهم لاستقبالهم. ويدخلون البلدة وهم يطلقون الأعيرة النارية والطبول تقرع، فيخرج أهل البلدة مستقبلين ومرحبين. وفي ميدان البلدة يتفرق أهل البلدة بين الضيوف، ويحتفلون بهم أحسن احتفال ويكرمونهم أجل الإكرام.

وفي عصر آخر أيام الاحتفال بالختان، ويسمى يوم الشهره، تقام أكبر عرضة يحضرها أغلب أهل البلدة والقرى القريبة. ويخرج المطاليب في أحسن هيئتهم متقلدين أسلحتهم، ويعودون بعد المغرب من العرضة إلى نزلهم حيث يقيمون.

وفي فجر يوم الختان يأخذ أهل الدرم في الاستعداد للتحضير لعملية الختان، وإعداد محل لائق للمطاليب، وتهيئة طعام الجبر، أي الوليمة الكبرى.

وعند شروق شمس يوم الختان، تُقرع الطبول، وتدار رقصة السيفي، ويجتمع أهل البلدة ومعهم المطاليب ويخرجون في دلع ورقص رصين. والطبول تقرع والرصاص يُطلق من فوق الرؤوس،

الختين يرقص

والزغاريد تسمع من كل ناحية، والأعلام ترفرف، إلى أن يصلوا إلى دار الحكومة. فيدخل الـدرم ونفر من أهله، ومـعهم الختَّـان، ويغلق الـباب وتجرى عـملية الختان. ثم يخرج الـدرم ومئزره ملطخ بالدماء وهو يـرقص والسيف في يده. وتدق الطبول وتدار رقصة الدلع أو رقصة الدمّه، ويسير الجمـيع في زيارة خاطفة لبيت أو بيتين من بيوت الأقرباء ثم إلى دار الدرم. فيؤخذ الدرم إلى ناحية من الدار لمداواته ثم يضـجعونه على سرير في مـكان هادئ مـن الدار بعـيداً عن الضوضاء.

في يوم الختان يقدم المطاليب لذوي الختين مـبلغاً من المال يـسمى خطورْ. وكيفية جمعه هي أن يدفع كل واحد من المطاليب مبلغـاً من النقود إلى المطلوب الرئيسي، أي الشخص المتصدر الأول، الذي يدفع بدوره قدر ما قدمه له رفاقه أو نصـفه، ويتقـدم به أمام الحاضـرين ويسلمه لأحد المباشرين. فيرفـع المباشر عقـيرتـه قائـلاً «ترون فـلان بن فلان وجماعـته خطروا، بمبـلغ قدره كذا»، ويكون المطاليب حاضرين في المجلس. ومن تـلك الساعـة يصبـحون ضيوف الشرف في بيت الدرم، ويحظون بالحفاوة البالغة والتكريم المتناهي.

وفي يوم الختان تقام الوليمة الكبرى التي تسمى الجبر، وهي الوليمة الختامية للختان. ويتكلف أهل الختين في إعدادها الشيء الكثير من الذبائح ووفرة الطعام، بحيث يظهـر فيها البذخ وكرم المظهر. فتُرص القدور مكومـة فيها صوامع من عصيد الدقيق، تـفهق جوانبها بالسمن والعسل، حـيث يكون المباشرون قيـاماً بصفائح السمن والعسل لإكمال كل ما ينقص، حتى يفيض السمن والعسل على جوانب الـقدور. وبعد الـغداء، ينشد الشعراء قصائد شعبيـة تسمى التكثيره، يشـيدون فيهـا بكرم صاحـب الحفل، ويبالغون في وصف حفله وكرم ضيافته، وبعدها تقدم لهم الجوائز وينتهي الحفل.

وينشد الختين لوناً من الشعر يعرف بالقاف، يُعَبر فيه عن تهاويل من الرؤى والأساطير الشعبية، ناعتاً نفسه بالرجولة والشجاعة والصبر على تحمل الآلام. ويُلقي هذا الشعر في نفس الختين عند إنشاده له، ضروباً من الإيحاء والحوافز المثيرة لـلشجاعة. وطريـقة القاف أن يذهب الدرم إلى أحد الشعراء المشاهير، ويطلب مـنه أن ينظم له قافاً بمـناسبة ختانه لكي يلقيها يوم الختان وهو واقف على أعلى رابية، يطل من خلالها على الجموع التي غص بها المكان. وهناك

يرفع الشاب عقيرته متغنياً بذلك القاف. وللألفاظ سحرها على القائل وأثرها على المستمع، فيعمل الإيحاء عمله المشجع للمنشد حتى يبلغ من الحماسة درجة تدفعه إلى تحمل الآلام راضياً. ويثير قوله وحركاته وإشاراته ونبرات صوته المنفعل الجمهور المشاهد، فيبهرهم المنظر ويخلب ألبابهم. وفي أثناء تلك المسرحية يتقدم الختّان إلى الشاب شبه المخدر من الانفعال فيسلخ جلدة قضيبه كاملة، بل ويتعداه إلى العانة. وفيما يلي جزء من قاف قالها أحد الشبان يوم ختانه:

هوه ياهواده، صلوا على النبي
لا خير في رجال ما يصلي عليه
اقرا كتابي واثني بالنبي
يامدرمه نجمي عليكم قاهري
من بار في حمله شادني امساحلي
يسري من الزهره يصبح سايرة حلي

وفي تهامة عسير والباحة ومكة المكرمة، كانت هناك عادات وتقاليد خاصة تصاحب عملية الختان. وكان الشاب لا يختتن إلا بعد العشرين من عمره، وذلك قبل الحكم السعودي، حيث يتفق أهالي الشباب، الذين هم في أعمار متقاربة من القرية نفسها أو المنطقة، على إجراء عملية الختان لهم، ويبدأون في الإعداد لحفل الختان. فيتوقف الشباب الذين سيُختتنون عن الأعمال التي يزاولونها، مثل الرعي أو السقي أو الحراثة أو أي أعمال أخرى، ويتفرغون لتسريح شعورهم ودهن أجسامهم وزيارة بعضهم بعضا. ثم يبدأون في التمرين على رقصات وطقوس الختان. ويحضرون شاعراً من أجل أن يلقنهم أناشيد خاصة بعملية الختان، وهي التي ستقال في يوم الختان، وتسمى هذه الأناشيد بالعزاوي، وقد تسمى قاحزه أو قافْ. ويلبس الشبان ملابس خاصة بالختان لا يلبسها غيرهم، تتكون من إزار أو وزرة يتزرون بها على الجزء السفلي من الجسم. وتكون، عادة، ملونةً ومن الحرير وتسمى عرايه، أو تكون حمراء وأطرافها سوداء، وتسمى عريشيه، أو تكون بيضاء مخططة بألوان حمراء وسوداء في الطول، وتسمى فقيهي. ثم يلبس فوقها من أعلى الجسم قميص ضيق جداً يعرف باسم صديريه. ويكون، عادة، ذا لون أحمر مخطط بلون أصفر، أو ذا لون برتقالي أو أصفر مخطط بلون أسود، أو بلون أسود سادة. ثم يحتزم الشاب بجنبية، تعرف باسم مُعَيَّرَهْ، وهي طويلة قريبة من طول السيف. وفي طرف المُعَيَّرة سيور جلدية، تسمى خذله. ثم

المذوب

يتقلد على صدره سلسلة من الفضة طويلة، بحيث تدخل السلسلة من تحت اليد اليمنى، والطرف الآخر فوق كتف اليد اليسرى. ويلبس فوق رأسه قطعة من الحرير، تعرف باسم برنوس. ويكون شعر رأس الشاب المختون، عادة، موزعاً إلى ثلاثة أجزاء؛ الجزء الذي فوق الجبهة وفوق الأذنين طويل نوعاً ما، ويقص على شكل القصَّه. وأما وسط الرأس فيحلق تماماً بالموسى لمسافة خمسة سنتيمترات من المقدمة، وتنتهي إلى خلف الرأس ويسمى بالتطوار. وبقية شعر الرأس، من القمة وحتى مؤخرة الرأس تترك طويلة، وتسمى هذه بالذَّوابه. ويطلق على الشاب الذي يلبس هذا الزي اسم ألْمُذَوِّب. ويقوم المذوب بوضع أغصان من النباتات العطرية، مثل الريحان والوزاب والبعيثران والعَرَفَه والشيح والعطره، على رأسه حيث يثبتها في البرنوس الذي يعتصب به فوق رأسه. وكذلك يكتحل المذوب يومياً، ويدهن جسمه وشعره ويحني كف يده اليمنى. ويجتمع الشباب الذين سيختتنون يومياً، بعد العصر، لمدة تتراوح من شهر إلى شهرين، وينزلون إلى برحة كبيرة تكون، عادة، وسط القرية أو بجانب مساكن البدو. وهذه البرحة أو الفسحة تكون، عادة، مستطيلة. ويأخذ الشبان في الرقص والجري، كل ثلاثة أو أربعة معاً، فيبدأون الجري من نقطة معينة، وبعد

حوالي عشرة أمتار يقفزون عالياً، وتسمى هذه القفزة بالامتراح. ثم يواصلون جريهم في صف متزن منسق، وفي نهاية البرحة أو الفسحة يقفزون قفزة أخرى جماعية، ويعودون إلى المكان الذي بدأوا منه جريهم، ويقفزون عندما يصلون إلى مكان القفزة الأولى. ويكررون هذه العملية عدة مرات. والهدف من هذه العملية هو تقوية عضلات الجسم وزيادة اللياقة البدنية، ومعرفة من سيقفز أعلى من غيره. فهم يفتخرون بالشاب الذي تكون قفزته أعلى. وبعد الغروب يعودون إلى منازلهم، ويتمرنون على الشعر والقصائد التي سوف يلقونها يوم ختانهم. ومن الأناشيد التي يرددها الدرم أثناء ختانه، وقد تكون خطيبته واقفة أمامه:

إقطع ياقطاع
إقطع ولا ترتاع
ترانـي جبل ما ينزاع
إلا ينزاع اثرب على ثربان
ترانـي ولد آل (... ...)
وأخوالـي آل (... ...)
دقاقة البارود
كم حجية دكوها
وكم من صبيّة نكحوها

وفي بعض المناطق، يقوم الشباب الذين سوف يختتنون بالتجوال في القرى المجاورة لهم، وتستغرق هذه الجولة حوالي شهر تقريباً، ويصطحبون معهم الشاعر الذي يلقنهم الشعر، وطبالين وبعض المتفرغين من الراقصين. وكلما أقبلوا على قرية قرعوا الطبول، وبدأ الراقصون الرقص. فيستقبلهم أهل القرية بالطلقات النارية والزغاريد، ويتوزعون ضيوفاً كراماً على بيوت أهل القرية، ويبالغون في إكرامهم. ويصل الكرم إلى درجة أن أهل البيت المضِيف يصبون السمن فوق رؤوس ضيوفهم حتى يسيل على الأرض، وهذا دليل على الكرم عند أهل تلك الديار.

وبعد تلك الجولة التي تغطي جميع القبائل المحيطة بهم أو المجاورة لهم، يعود الشباب إلى قريتهم ويجولون في قرى قبيلتهم ثم يحتفلون في قريتهم. ويحضر الاحتفال في بعض المناطق أهالي القرى أو القبائل المجاورة، وحتى القبائل المعادية لهم تحضر الاحتفالات أيضاً. وفي مثل هذه المناسبات تكون هناك هدنة بين القبائل، بحيث يأمن كل من يحضر الاحتفالات على نفسه، ويتكفل بسلامتهم رجال لهم كلمتهم النافذة. وفي تلك الأيام تنتعش الحالة الاقتصادية، وتزداد السلع، ويأمن الناس فترة من الزمن، ويجدون متنفساً للهو والرقص والشعور بالأمن. ويجتمع الناس، عادة، في النصف الأول من النهار

في بيت صاحب الختان، ويحضر الشعراء فيتساجلون، ويتحاورون وينشدون، والمستمعون في نشوة وإعجاب. وإذا جاء وقت العصر خرجوا إلى البرحة أو الفسحة التي تتوسط القرية، وبدأوا في الرقص والعرضة والامتراح (القفز) حتى المغرب. وبعد المغرب يؤدون رقصات تعرف برقصة الدلع، وفي أول الثلث الأول من الليل يؤدون رقصة الزيفه والرحجه. وفي آخر الليل رقصة المعشى.

أما في بعض المناطق الأخرى، مثل المناطق المرتفعة المعروفة باسم السراة، فعادة تكون زيارة القبائل المجاورة والقرى بعد عملية الختان، وبعد أن يشفى الختين.

ويُقدم في هذه المناسبة ما يسمى بالقَوَد، وهو عبارة عن هدية يقدمها كل صديق أو قريب للشخص المختون عندما يحضر احتفالات الختان. فبعض الناس مثلاً يحضرون ثيراناً، وبعضهم يحضرون خرافاً، أو شياهاً لم تحمل بعد. وكلمة قَوَد جاءت من أي شيء يُقاد مثل الحيوانات. أمَّا الأصدقاء البعيدون، نوعاً ما، فيحضرون بعض النقود الفضية هدية. وتسمى الهدية التي تعطى لولي أمر المختون في غامد وزهران مباركه، وطريقة الختان في السراة تختلف عنها في تهامة اختلافاً كبيراً، فالختان كان يتم في السنة الثانية أو الثالثة للعمر وبشكل جماعي واحتفالات مختصرة وتكاليف أقل. ويقام الهود، عادة، في وقت الصيف. ويحدد غالباً يوم الإثنين أو الجمعة.

واليوم الذي يسبق الختان، يعرف باسم الحضاره حيث يكتمل في ذلك اليوم حضور كل من يرغب شهود الهود (الختان)، من جميع القبائل والمعارف والأصدقاء. وفي عصر ذلك اليوم يوزع جماعة القرية الحاضرين على بيوتهم لشرب القهوة والشاي، ولأكل وجبة تسمى بداه تقدم، عادة، بعد العصر، وهي عريك أو تصابيع أو مبثوث، تعمل من القمح مع السمن والعسل. ويكون السمن، عادة، كثيراً، مما يدل على كرم صاحب البيت. وفي العشاء يحضرون كلهم إلى بيت والد الختين حيث تقام وليمة كبيرة يذبح فيها عددٌ من العجول وأعدادٌ من الخراف. وبعد العشاء يقام رقص كبير؛ يرقص فيه الرجال رقصاً جماعياً خارج المنزل، وترقص النساء داخل المنزل.

في صباح يوم الختان، بعد طلوع الشمس مباشرة، نرى الختين بصحبة كل الضيوف والأقارب وهو مزين بأجمل زينة يحمل في يده اليمنى الجنبية المعيره، وهي مسلولة تعطي لمعاناً شديداً مع ضوء

الشمس، ويمسك في يده اليسرى اللمط (قرص من النحاس محدب يصل قطره إلى ٣٠ سم) وعليه نجوم نحاسية وفضية وحلقات من المعدن، وسلاسل تسمى جرورْ من المعدن أو الفضة، وفي نهاياتها أقراص صغيرة فضية أو معدنية. ويمشي الختين أمام الجمع وهو يلوح بيده اليمنى، ويده اليسرى تهتز فتعطي السلاسل الموجودة في اللمط صوتاً موسيقياً. ويبدأ الموكب في التحرك إلى ساحة الختان، وهم ينشدون في طريقهم إلى الحلبة هذا النشيد:

الختين يحمل اللمط والسيف

يالله تفاولنا بفالك
ولا تلقينا خلاف
ياسعد من ذا فاله
في عرفه يوم الوقوف
يالله تفاولنا ونصبح في رضاه
واجعل خواتمها صلاة على النبي

ويكررون هذا النشيد في تلحين جميل حتى يصلوا إلى ساحة الختان. ثم يكونون حلقة كبيرة، ويدخل الشاب الذي سيختن في الوسط، ثم يقف معتزاً بنفسه، مباعداً بين رجليه، بحيث تكون المسافة بينهما حوالي ثمانين سنتيمتراً، ويرفع يديه مشدودتين إلى السماء متباعدة إحداهما عن الأخرى. ثم يدخل الختَّان، وفي يده سكين مخصصة للختان، حادة جداً. وعندما يتقدم إلى الشاب الختين يبدأ الشاب في إنشاد الشعر، الذي سبق أن حفظه في الفترة السابقة للختان، ويعرف بالقاحزه، وفيما يلي النشيد والتفاخر بالحسب والنسب الذي أنشده أحد الرواة يوم ختانه:

يامرحباً ياختاني عد امطر
وعد ما يزرع به البلاد
ترحيبة من باب صدري بالفر
ياخاتني نمر الحنب قصادي
رَفّع خِتانِي تَوْ جَمْعَة من حضر
فاني من القصير من الاجواد

وعندهم للضيف ثناي القدر ... ترعى جوانب كل محينا
قد هرقت لاسعار في لاوعاد ... ما عزب بالشدو قيوديا
نختم بطلبة ذا علينا قد قدر ... حناتها قل رعد وسمياً
هِمَّ الصلاة على محمد قاد ... واذا اقبل امحلاب ترزيا

وفي بعض مناطق عسير تسمى القصائد التي ينشدها الختين بالفروه أو القاف. ومن الأمثلة على هذا النوع من الشعر ما قاله ختين يعتز بأخته:

من دونها ما ديف بارودا ... مع الغليه للمساريا ياهل المساريا
اسلم سلمت اليوم ياختّاني ... خيلت يوماً هل منشيا
لا عضها حنش ولا موساني ... قد زان وانحال يمانيا
اليا بكيت فاقطعوا لساني ... فيه عصف امشيف وارعودا
واخبطني بمخبط حناني ... بين آل عسكر وامحطيطياَ
يسمع صريره من ورا نجراني ... ما قد جرت من عهد دايودا
اختن ياختّان وانا اخو وعله ... فابنا آل غومة مهر مغزيا
وأثناء النشيد، يُصلح الختَّان ذكر المختون. ثم يستمر المختون في نشيد شعر آخر، يعرف باسم القافيه حيث يقول: ... والفسل لوح الصرف مركيا
بديت طلبت خير وَاليَ ... من برغ لذات المعاديا
خالق امنجوم وامهلالِيَ ... يكسب لها افشال ومنقودا
سترتنا ياجيد الجود ... والجود يهبط ليس يجزيا
واسويت لي دلقة نواصيَ ... وغد الكفن يامر امس مصميا
كانه عسل لاودان مجلياً ... في حزة دبليس ماجودا
مقطب الكيلان بالعود ... يشتاف للمزيات فريودا
وإلا كما تمر امصغاريا ... يصبح قد الحراب مكويا
في غونة بالغيل مسقياً ... ويضل بيض المرو مبنيا
من دونهم مصغِر العود ... يبكي دم وامقلب معمودا
والا كما درى العوادِيَ ... نختم بطلبه خير واليا
وعلى النبي الطاهر نصليا
يشفع لنا من ضدة الحودا

ثم يبدأ فيسرد نسبه وحسبه ثم يتبع ذلك شعراً في أخواله ونسبهم.

وتختلف الختنة من شخص إلى آخر. فبعض الناس يسلخون كل القضيب ابتداء من العانه، حيث يقوم الختان بسلخها دون أن يستعمل أي بنج أو مخدر. وعلى المختون ألاّ يتحرك أثناء الختان، وأن يرفع رأسه إلى السماء، ويقول الشعر طيلة فترة الختان. وبعضهم يقول للختان «زوِّد الختان»، فلا يكتفي بسلخ كامل الذكر مع العانة فحسب، بل والغلاف الذي يغلف الخصيتين، الذي يسمونه الفحله. وبعد انتهاء عملية الختن يبدأ المختون بالجري السريع والقفز عالياً، والدم ينزف منه، لكي يبدي للمشاهدين مدى شجاعته وقوته، وأنه لم يتأثر من عملية الختان، ويتفاخر بكثرة الدماء التي تنزف منه. ويصاب بعض الشبان بالهياج لدرجة أن أقرباءهم يوقفونهم عن الجري، ليسيروا إلى المنزل في هدوء. وتزغرد النساء في المباني المحيطة بساحة الختان، من خلال أسطح المنازل ونوافذه وأفنية المنازل، ويشجعن الختين. وتقوم أمه وأخته بتشجيعه بقولها «أنا أمك يافلان». أو «أنا أختك»، كي يزدن من شجاعته. وتشارك النساء في المنازل المجاورة بالزغاريد التي لا تنقطع حتى ينتهي الختَّان من عمله. ثم يعود الختين إلى منزله وجماعته يمشون خلفه، وهو يتقدمهم مزهواً بنفسه. وتواصل النساء في المنازل، التي على الممر المؤدي إلى منزله، الزغاريد من النوافذ، حتى يصل إلى منزله. وهناك يغسل القضيب وينظف بالماء الدافئ، ثم يضعون عليه أوراق نبات سبق أن جمعت لهذا الغرض (هي أوراق المليان في السراة، وأوراق الغلف في تهامة). فيدفئون الأوراق على النار، ثم يضعونها على القضيب وهي ساخنة، ويغطون كل المناطق التي نظفت من الجلد، ويربطون فوقها قماشاً. ثم يربطونه بأربطة تعرف باسم المعابل ويشدونها إلى الخلف حيث يربطونها في حزام داخلي يلبسه الشخص تحت الملابس الداخلية. وفي تلك الليلة يُقام احتفال كبير ورقص.

ويستمر علاج الختين حوالي شهرين، لأن الجرح كبير، ويحتاج شفاؤه إلى وقت طويل. وعند تغيير الجرح، يقومون بتدخين القضيب بأوراق العرعر الجافة، حيث يحضرون مجمراً أو محماساً فيه بعض من الجمر، ثم يضعون فيها كمية من أوراق العرعر اليابس ويضعونها تحت قضيب الختين لمدة قصيرة (حوالي ثلاث دقائق) ثم يلفون عليه أوراق الموز أو المليان أو الغلف مباشرة بعد الانتهاء من ذلك. ثم يلف الذكر بها مشدوداً بثقل إلى الأسفل. والسبب

في ذلك أن القضيب قد يفقد امتداده للخارج، فينجذب إلى الداخل وقد تصعب معالجة ذلك لاشتداد الألم، ولذلك لا يسمح له بمغادرة مكان السلخ قبل لف الذكر وشده بثقل إلى الخارج.

وفي بعض مناطق تهامة تختلف عادات الختان وتقاليده من منطقة إلى أخرى. ففي جبل زهوان بالريث (القهر)، تختلف صورة الختان عن ذلك تماماً، وهي طريقة شديدة ضارية. يبدأ الختّان بعمل أربع فتحات في الجلد تحت السرة تماماً، ثم يدخل أصابعه الأربعة في تلك الفتحات، ويبدأ يشد الجلد ويسلخ حتى يصل إلى العانة ثم يتوقف. ويبدأ من نصف الفخذ الأيمن ويسلخ الجلد حتى يصل إلى العانة والقضيب، ثم يبدأ في الفخذ الأيسر حتى يصل إلى العانة والقضيب من الجهة اليسرى، ثم يكمل بسلخ العانة والقضيب، وكذلك كل الأجزاء المحيطة بفتحة الدبر وينظفها تماماً بالسكين. والمدة الزمنية التي تأخذها عملية الختان لا تقل عن ساعة. والشاب الختين يعرِضُ طيلة الفترة أبياتاً من الشعر وهو واقف لا يهتز منه شيء، وإذا حدث أن أغمي عليه يرشونه بالماء فيفيق، ويستمر في قرض الشعر. والعيب كل العيب عندما يتقيأ (يطرش) الختين حيث يعتبرونه فاشلاً، ولا تقوم له قائمة طيلة حياته لأنه سبب لأسرته العار والفشل. وربما كان الغرض من تكليفه بترديد الأناشيد هو شغله حتى لا يشعر بالألم، وكأنه نوع من التخدير.

وبعد أن ينتهي الختَّان من عمله يؤخذ الختين إلى منزله، ويحضرون أوراق الغلف أو المليان، ويرطّبونها على النار، ثم يغطّون كل المنطقة المختونة ويربطون عليها بقماش. ويُباشر أهل الختين تنظيف الجروح يومياً، والتغيير عليها بورق أحد هذين النباتين، ويستمرون في ذلك حتى يشفى الختين. ويمضي الختين، عادة، حوالي سنة كاملة وهو على فراشه.

أما قبيلة آل جليحه، فلا يختتن الشخص فيها إلا بعد أن يتزوج وينجب، ويحضر ختانه أكبر أولاده، حيث يقوم ابنه الأكبر بإطلاق الأعيرة النارية من فوق رأس أبيه يوم ختانه. كما يُطلق الأقارب والأصدقاء الأعيرة النارية أيضاً من فوق رأس الختين. وتحضر الأم والأخت للزغردة والتشجيع ومدح الرجل، حتى ينتهي الختَّان من إجراء عملية الختانه.

وبعد شفاء الختين، يحلق شعر رأسه تماماً، ويجعله ينمو كله من جديد على هيئة جمه، ويفرقه من منتصف

الهامة، ويجعل الشعر الأمامي، بعد فرقه، من خلف أذنيه. ثم يلبس على الشعر عكاراً من الجلد مزيناً ببعض فصوص الفضة، ويضع فوق الأذنين أغصاناً من الريحان أو البعيثران يثبتها بالعكار، ثم لا يلبس ما كان يلبسه قبل الختان، بل يلبس ملابس أخرى تميزه عن اللبس السابق. وسبب ذلك أن طريقة تربية الشعر، وتقسيمه إلى ثلاثة أجزاء على الرأس، واللبس الذي ذكرناه سابقاً هو علامة الشخص غير المختون. أما إذا كان الشعر طويلاً على هيئة جمه واللبس مختلفاً فهذا يعني أن الشخص قد اختتن.

وقد تغير نظام الختان حالياً في تلك المناطق، فأغلب الأهالي يختنون أولادهم في اليوم السابع لميلادهم. ولكن توجد فئة أخرى يؤجلون الختان، حتى يصير عمر الصبي عشرة أعوام، ثم يحدد يوم الختان. ويحضر أقارب العائلة وأصدقاؤهم في ذلك اليوم، ويدعون الخَتَّان، الذي يقوم بختان الصبي، وقد أمسك به أعمامه، في فناء المنزل. ويكون الصبي، عادة، خائفاً، فيمازحه أقاربه ويداعبونه. ويشد الختان الجلد الذي يغطي القضيب، ويدفع القضيب إلى الداخل بشد الجلد تماماً إلى الخارج، ثم يقوم بربطه ربطاً جيداً حتى نهاية رأس القضيب. وعندما يتهيأ الختان لقطع الرغله، يقول أهل الصبي له «انظر إلى الطيور التي في السماء كم هي جميلة» فيرفع الطفل رأسه إلى السماء لعله يعثر على الطيور، وحينئذ يقطع الختان الرغلة من خارج الربط فينفك الرباط ويخرج القضيب من الداخل. ثم يعالج الطفل بعلاج حديث في المستشفى. ويقدم أقارب الختين الهدايا إليه، ويقيم أهله الولائم والحفلات بهذه المناسبة. وتستمر الحفلات والفرحة لمدة أسبوع. ويحضر أقارب الختين من أعمام وأخوال، إذا كانوا خارج المنطقة لأن من الواجب حضورهم هذه المناسبة.

والمفاخرة بالشجاعة عند الخِتان مهمة جداً. يُحكى أن ثلاثة من الشبان اتفق موعد ختانهم في يوم واحد. وبدأ الخَتَّان بأحدهم، فختنه وقد سلخ الجلد الذي على القضيب كاملاً بما في ذلك العانه. ثم بدأ في ختان الثاني بالطريقة نفسها. وفي هذه الأثناء عمل الثالث عملاً آخر، حيث قام بنفسه بإدخال الخصيتين إلى الداخل وربط غلافهما الجلدي بخيط، ثم قطعه بسكِّينة ووضعه فوق رأس السكِّينة، وخرج إلى الختان ودمه ينزف

وهو في شجاعة لا مثيل لها. وقال للختان «اصلخني مثلما صلخت صديقيَّ»، وأدى الختان عمله كما فعل بزميليه. ولكن الختين بدأ يتباهى بنفسه أمام المدعوين، وأمام زميليه بأنه أشجع منهما، حيث إنه قطع الفحله (غلاف الخصيتين). فما كان من زميليه اللذين سبقاه في الختان، إلاّ أن طلب كل منهما من الختَّان أن يقطع فحلته لكي لا يزيد زميلهما عليهما، ففعل الختَّان. وأصبح الثلاثة مثالاً للشجاعة.

ومن نوادر الخِتان ما حكاه لنا أحد الرواة من منطقة جازان أن أحد المواطنين عُيِّر بأن ختان ابنه كان ختان السُّقْمِيَّه، أي ختاناً مثل ختان السنّة. فأمر الرجل أن يعاد ختان ابنه مرة ثانية. وبعد سلخ القضيب بكامله أغمي على الولد، فأمر والده بأن يشرب ماءً، ويستمر الختَّان في عملية السلخ، ثم أغمى على الختين مرة أخرى وهكذا، حتى سلخ الختان إلى سُرَّتِه وجزء من الفخذين. وذكر أيضاً أن قريباً له نزف بعد الختان لمدة يوم كامل، ثم توفي. كما أن سبعة من المختونين بالطريقة نفسها كانوا نائمين على ظهورهم ثم دخل عليهم تيس يجري ومشى فوقهم فدخلت حوافره في بطونهم المسلوخة وماتوا جميعاً.

وقد ذكر الراوي أنه إذا حدث التصاق قد يؤدي إلى أن يقصر القضيب، فإنهم يربطون رأس القضيب بخيط قوي ويطلبون من المختون أن يمشي إلى الخلف، وهي عملية مؤلمة جداً، وعند فك الالتصاق وعودة القضيب إلى طوله الطبيعي يبخّر القضيب؛ وذلك بحرق عيدان نبات المظ. هذا إذا لم يكن القضيب متقيحاً، أما إن كان متقيحاً فيطهر ببول أنثى الضأن البكر، أو باللبن الرائب، أو بعصير التمر هندي، أو بخلطة من كل ذلك. ويشّمم المختون حبة سوداء توضع داخل صرة صغيرة.

أما الختان في باقي مناطق المملكة فيسمى بالطهار أو التطهير. ويجرى على الأطفال من عمر سنتين إلى ثلاث سنوات من ميلاد الطفل. وقد يحرصون على ختان الطفل صغيراً جداً في أثناء الأربعين الأولى، لأن الصغير أقل إحساساً من الكبير. ويرحمون أمه فلا يتركونها تحضر عمليته ولا تسمع بكاءه، وفوراً يحملونه إلى أمه، فلا يكاد يصل إليها إلا وقد سكت من بكائه ورضع ثديها.

ويعد الختان ظاهرة اجتماعية مألوفة. ويختار الزمن المحدد للتطهير في وقت نمو البسر (سياق البسر في النخيل)، أو

وقت استطالة البلح الأخضر (تقريباً في وقت الصيف). ويقوم بعملية التطهير عادة الخاتن، ويسمى أيضاً المحَسِّن أو المطهر أو الستاد، وهو من يقوم بالحلاقة والحجامة. وتتم عملية التطهير في الصباح الباكر حيث يحضر الأب بالابن ويجلسه على مخرفه (إناء مستدير مصنوع من النحاس وقاعدته أضيق من أعلاه)، أو صفريه (وهي قدر عادي)، ويقوم الأب بقلب المخرفة أو الصفرية، ويجلس الابن عليها. ثم يحضر الختان ويبدأ الأب يقص على الابن بعض الحكايات الشائقة، ويقوم المطهِّر بإدخال ذكر الطفل بهدوء في الختَّانه (وهي قطعة جلد قوية مستديرة وبها ثقب) والختانة تدفع الحشفة إلى الداخل وتقيها من خطر السكين، التي يستعملها الختان في قطع الجلدة المعروفة بالقلفة. أما القلفة، المراد قطعها، فتبرز إلى الخارج لوحدها حيث يقوم الختان بربطها بخيط قوي ثم يقول الأب لابنه: انظر إلى الغزيِّل (تصغير غزال) في السماء أو نحو ذلك فيقوم الطفل برفع رأسه إلى أعلى، وفي تلك الأثناء يقطعها الختان بسرعة.

ويوضع على مكان القطع قهوة (بن) محموسة مطحونة طحناً ناعماً لكي تمنع النزيف، كما يشق ثوب الطفل من الأمام لكي لا يضايقه عند المشي، ويعطى الطفل شيئاً من الحلوى، وتكون الأسرة قد أعدت وجبة إفطار فاخرة شهية مصنوعة من مختلف الأكلات الشعبية اللذيذة، مثل خبز التاوه أو المقشوش (لقيمات على هيئة الفلافل تعمل على المقرصة دون استخدام الزيت وتكون مغموسة بالدبس أو محلول السكر) وقرص عقيل والكليجاء والسويق والحنيني واللبن والزبد والتمر والمراصيع والمصابيب وغيرها. ويدعى لهذه المناسبة الأقارب والجيران ويشاركهم في ذلك الحفل الصبي المطهر.

وكتب بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر عن الختان عند بعض قبائل البدو، وعما يصاحب هذه المناسبة من عادات. وقد جنحوا في كثير مما ذكروه إلى المبالغة والخيال أحياناً، مما دعا إلى تجاهله.

من هؤلاء الرحالة الغربيين تشارلز داوتي C. Doughty، الذي زار الجزيرة العربية عام ١٨٧٦م، وسجل بعض الملاحظات والانطباعات الشخصية عن ختان الذكور عند البدو، نوردها باختصار وتصرف. قال داوتي:

> الصيف موسم المزينين، موسم ختان أطفال البدو. في هذه المناسبة تقوم

الأم بالتعبير عن سرورها وفرحها بختان طفلها وذلك بتزيين وزخرفة خيمتها بأنواع من الزينات والزخارف البسيطة غير المكلفة.

وتجتمع بنات الجيران لمشاركة أم الطفل فرحتها حيث يغنين ويرقصن وهن يرفلن في أحسن ملابسهن وحليهن الفضية غالباً، وربما لبسن الأقراط والأساور من الذهب والخرز الملون الجذاب. وربما وضعن في فتحات في أنوفهم الزمام أو مسماراً من القرنفل مكانه، إضافة إلى المناديل التي يربطنها على جبينهن فوق ريش النعام.

ويخُتن الطفل عند البدو، عادة، عندما يبلغ الثالثة من عمره، خاصة عندما يكون لدى الأم ما يكفي من الحنطة والأرز لتقديمه للضيوف، ومن ناحية أخرى يحل أصدقاء الأب ضيوفاً عليه، وقد تَزيَّنَ بعضهم بحزام في الوسط وبحزام آخر زاهٍ على الكتف تتدلى منه سلاسل صغيرة وأغلفة البارود النحاسية، ويحملون على أكتافهم بنادقهم الطويلة التي يتنافسون بها.

ويقدم والد الطفل لضيوفه عشاء من اللحم والأرز، وبعد تناول طعام العشاء، يشكل الرعاة الشباب الذين تملأُهم روح الدعابة صفاً وذراع كل واحد منهم على كتف الآخر. وبصيحة واحدة يبدأون الرقص فيتمايلون ويتقدمون ويتراجعون وهم ينشدون سوياً بأصوات جشة بيتاً واحداً من الشعر، وتصفق النساء بجانب الخيمة. وتنهض امرأة، هي أم الطفل المختون على الأرجح، حاملة عصاً في يدها وترقص متجهة نحوهم وهي تجاوب في بهجة أنشادهم بأغنيتها، بينما هم يرقصون متقدمين بدورهم تجاهها.

وعندما يصيرون على مسافة قريبة منها تتراجع إلى الخلف ووجهها نحوهم متظاهرة بالدفاع عن نفسها بالعصا. ويستمرون في مهاجمتها ومطاردتها منشدين بأصواتهم الرجولية نفس البيت الشعري.

وشاهدت مُزيِّنين آخرين في مخيم سحامه وكان ذلك في الصباح الباكر- موعد طهارة الأطفال.

وعندما مررت بالخيمة الأولى كان الطفل قد ختن قبل لحظات ولكن الخِتانَ كان رديئاً لدرجة أن الخاتن استدعي مرة أخرى.

وأَتيتُ إلى خيمة مزين آخر، وكان في هذه المرة أحد الصناع (حداداً) ورأيته يشحذ شفرة مديته بينما أمسك آخر بكبش واستعد لذبحه. كان الأب -المزين- يشجع ابنه الصغير حيث أركبه على ظهر الكبش ليدور به دورات ثم أجلسه في مكانه مرة أخرى وسحب مديته الكبيرة وذبح الكبش في سرعة فائقة. وذبح أيضاً معزة وعتوداً. والآن أجلسوا الطفل على قدر معدني ضخم منكفئ يستعمله البدو في حالة ضيافة قوم كثيرين... ووضعوا تحت الطفل مسحوقاً من روث الخيل الجاف. ووقف هذا الأب (الحداد) صامتاً يشحذ شفرة موسى ثَلِمَه على ذراعه القوية. ثم شدّ القلفة داخل كسرة حجر مثقوبة وربطها بخيط. «إنتبه ولا تتجاوز الحد» قالت الأم وهي ممسكة الطفل بيد بينما غطت بيدها الأخرى عينيه وهي تشجعه بصوت حنون وتعده بحليب طيب وأشياء ثمينة. وبخفة فصل الصانع القلفة عند عقدة الخيط ورش الجرح بمسحوق من الفحم، وترك الطفل، الذي لم يحس كثيراً بالألم، لأمه التي أراحته في حضنها وربتت عليه مذكرة إياه أنه يجب أن يكون مسروراً لأنه دخل الآن الإسلام. ووزع معظم اللحم والأرز المسلوقين قبل منتصف النهار، وحُملت أجزاء منهما إلى الأصدقاء الذين لم يتمكنوا من الحضور. وشاهدتُ في الساعات التي تلت الختان، الفتيات والشابات المتزوجات حديثاً يغنين في مرح وابتهاج (نصر ١٩٩٥: ١٤٦-١٤٨).

أما الرحالة سنوك هورغرونيه الذي زار مكة عام ١٨٨٥م فقد كتب عن الختان في المجتمع المكي ما يلي:

يعمل الحضرمي الذي لم يصبح مكياً بعد بعاداته وتقاليده على ختان أنجاله بعد ميلادهم بأربعين يوماً. أما داخل الجزيرة العربية فهناك قبائل تجري عملية الختان بعد سن البلوغ بطريقة مفزعة غاية الفزع وخطرة إلى حد ما. وتقف الخطيبة أمام خطيبها الذي تجرى له العملية لتختبر شجاعته، وتفسخ خطوبتها منه إذا صدرت منه أنة ألم.

لقد ذكر كثير من الرحالة الأوربيين طرقاً بدائية كهذة للختان في غرب الجزيرة العربية وجنوبها. وقد

علمتُ أن هذه العادة متبعة عند قبائل في شرق الطائف وجنوبها. ويقوم المكي بختان أبنائه بين الثالثة والسابعة من العمر، وينتظر الفقراء حتى يقيم جار غني أو كفيل لهم وليمة لختان ابنه ويسمح لهم فيها بختان أبنائهم على نفقته.

وفي اليوم السابق للختان أو الطهار أو التطهير، كما يعرف في مكة، يؤخذ الطفل في موكب مهيب عبر طرقات المدينة. وتقدم للضيوف المدعوين وجبة الغداء، وعندها تُضرب طبول كبيرة بجانب المنزل إيذاناً ببدء الإحتفال.

يتبع المنشدون الطفل وهو ملفوف في ملابس ثقيلة مطرزة بالذهب والفضة والجواهر، بحيث لا يكاد وجهه يبين من كثرة اللفافات، وهو محمول على حصان مساو له في الزينة، ويسير على جانبي الحصان رجال يسندون الطفل، ويرفعون بين الحين والآخر قطعة قماش مغموسة في عطر إلى أنفه. ويسير خلف الطفل، الذي يُنظَّمُ الموكب أمام منزله، مجموعة من أصدقائه راكبين مثله على ظهور الخيل ولكن في ملابس أقل فخامة. ويسير الموكب في طرقات مكة الرئيسية حتى غروب الشمس ويرجع في النهاية إلى البيت الذي بدأ منه. فيؤخذ الطفل إلى النساء. وينصرف المدعوون بينما يستمر الإنشاد وضرب الطبول.

وبعد صلاة العشاء وحتى منتصف الليل، تكرم نساء الأسرة وفادة صديقاتهن ويستمتعن كلهن بأغان لبعض المغنيات اللائي يحيين حفلات الختان، تشبه تلك التي تغنى في حفلات الزواج.

عند شروق شمس اليوم التالي يأتي المزيِّن ومعه عدته (ملاقيط صغيرة ليقبض بشدة على القلفة) وموس. وباسم الله يؤدي العملية سريعاً، بينما الصبي راقد على ظهره وتحاول أمه أن تصرف انتباهه بالحلوى. ويوقف المزين الدم بذر رماد قطن محروق على الجرح ولفه بلصقات تسمى مَرْتَقْ. ويلتئم الجرح غالباً في ظرف أسبوع. وبعد العملية يتناول الأقارب، نساء ورجالاً، وجبة الفطور المكونة من فطير ممتاز جداً اسمه زلابية. وهكذا تنتهي الوليمة (نصر ١٩٩٥: ٢٤٦).

ومن نوادر الختان في نجد ما يروى أن شاباً لم يختتن صغيراً حتى كبر وبلغ الرشد

وقَرُبَ موعد زواجه. فذهب بنفسه إلى الستاد المختص بالختان، وقال له: عندنا صبي نريد تختينه، لعلك تأتينا في البيت، فقال الستاد: لا بأس، فوصف له البيت وواعده عند الصباح، وقت طلوع الشمس. وفي الموعد المحدد، وقف الشاب قرب الباب ينتظر، وأهله كلهم هربوا من البيت انزعاجاً مما قد يحدث. فجاء الستاد ودخل وجلس وأخرج أغراضه من حقيبته للعملية وقال للشاب: هات الصبي، فقال الشاب: أنا المعني، إني لم أختن وأريدك تختنني. فنظر إليه الستاد ثم أخذ يدخل أغراضه في حقيبته، فأمسك الشاب يده وقال: ياعم ارحمني، والله إن صداق زواجي في البيت وأنا حالي هكذا. فأعاد الختان النظر إليه وقال: إذن لا بد من حضور رجال يمسكونك، فقال: أنا أمسك نفسي فاعمل على كيفك. فأخرج أغراضه وأجرى العملية والشاب ساكن لا يتحرك. فلما انتهى قال الشاب: فعل الله بأبي كذا وكذا (دعا على أبيه بدعاء غير طيب)، الذي ما ختنني وأنا صغير (التويجري ١٤١١، ج٢: ٨٥).

أما ختان البنات فيكون بقطع جزء من البظر ويتم بطريقة سرية، وتقيم النساء فقط حفلاً لذلك، بينما يستقبل الرجال أقرباءهم وأصدقاءهم المقربين. ويسمى ختان البنات الخفض، فالختان للذكور والخفض للإناث، وسمي خَفْضْ لأنه يخفض بروز النواة (البظر) عند المرأة. وكان موجوداً على نطاق ضيق جداً في بعض مناطق الحجاز، كتقليد أسري أكثر منه تقليد اجتماعي.

وفي لسان العرب لابن منظور؛ (خفض): قال الرسول ﷺ لأم عطية «إذا خفضت فأشمي» أي إذا ختنت فلا تنهكي أو تبالغي في القطع. والعرب كان يخفضون حتى إنهم ينعتون التي لم تخفض بالذم؛ فيقولون في تشاتمهم «يابن البظراء» أي ذات البظر التي لم تُخفض. وما زالت بعض المجتمعات العربية يمارس فيها خفض الفتيات.

الحِجامه

هي إحدى طرق الاستطباب المعروفة عند العرب منذ القِدَم، وكانت تمارس في الجاهلية، وفي الإسلام. وورد فيها عدة أحاديث؛ منها حديث طاووس عن ابن عباس ٪ أن النبي ﷺ «احتجم وأعطى الحجام أجره» (رواه البخاري ومسلم). وقد أفرد لها الإمام البخاري (باب الحجامة من الداء).

والحجم لغةً هو المص. وسمي به فعل الحاجم، لما فيه من مص للدم في

موضع الشرط. والحجَّام: المصَّاص، والحِجامة: فعل الحاجم وحرفته.

وقد أورد أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المتوفى سنة ٤٠٤هـ حديثاً عن الحجامة في كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف. وخصص لها الفصل الثامن والتسعين الذي أسماه «الحجامة وكيفية استعمالها». وبيّن أنواعها وحدد مواضعها وكيفية إجرائها. وفي الفصل التاسع والتسعين حدد ما يُستخدم من الدهانات، وما ينبغي أن يتخذه المحتجم قبل الحجامة وبعدها (الزهراوي ١٤١٤: ٤٠٥).

وعن فلسفة الحجامة وشروطها ومواضعها والأمراض التي تعالجها يقول حنّا «تعتمد فلسفة الحجامة الطبية على فكرة الامتلاء الدموي الذي يتطلب إخراج كمية من الدم من جسم المريض وهي في ذلك تماثل عملية الفصد ولكنها أقل خطراً منها. والحجامة مثلها مثل الكي ممارسة علاجية عرفها العرب منذ زمن بعيد. تبدأ عملية الحجامة ببعض الاستعدادات البسيطة الخاصة بتجهيز الأدوات وغسلها بالماء والصابون ثم إعداد المريض واختيار المكان المناسب لتنفيذ تلك العملية» (١٩٩٨: ١٧٢-١٧٦).

وللحجامة شروط يحسن بالمحتجم أن يراعيها ما أَمكن، ومن أهم شروطها أنّ عليه اختيار الوقت المناسب. وهناك خلاف في أنسب أوقاتها أفي الشتاء هي أم الصيف، ولعل الجو المعتدل أنسب وقت لها، ويرى بعض الحجّامين أن يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء أكثرها ملاءمة، ووقت الصباح أفضل من المساء. ولا ينبغي إجراء الحجامة في أول الشهر، لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت، ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت، بل في وسط الشهر، حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها (ابن القيم ١٤٠٢، ج١: ٥٤).

عن أنس # «كان رسول الله ﷺ يحتجم في الأخدعين والكاحل وكان

حلق موضع الحجامة في أسفل الرأس وأعلى العنق

يحتجم لسبعة عشر وتسعة عشر وفي أحد وعشرين» (أخرجه الترمذي).

وعلى المريض ألا يستحم بعد الحجامة مباشرة وألاَّ ينام بعد إتمام العملية مباشرة. وعليه أن يتغذى لأن التغذية الجيدة عامل مساعد في استعادة المريض لما فقده من دم. ولا ينبغي إجراء الحجامة للطفل الصغير، ولا للشيخ الكبير. وفي ذلك يقول ابن سينا:

والطفل ذو العامين ليس يحجم
والشيخ ذو الستين عنه يحجم

كما لا ينبغي إجراؤها حال الشبع. وفي الأثر جاء أن الحجامة على الريق شفاء، وعلى الشبع داء، وفي سبعة عشر من الشهر شفاء. ويفضل أن يستحم المحتجم بعد حجامته بالماء البارد بعد توقف الدم، وأن يصبر عن الأكل لمدة ساعة على الأقل، وأن يجتنب مؤقتاً الحوامض والموالح. أما في الطب الحديث، فإنه يتجنب العلاج بالحجامة عند المصابين بداء السكري، وللأشخاص ضعيفي البنية، أو عند الخوف من استمرار النزف في مكان التشريط، بسبب وجود اضطرابات في أزمنة النزف، والتخثر وغيره مما يحدث مع بعض الأمراض، كقصور الكبد ونحوه. كما لا تجرى لمن عنده فرط حساسية بالجلد أو في منطقة مصابة بمرض جلدي. ويرى

وضع المحجمة الأولى والثانية

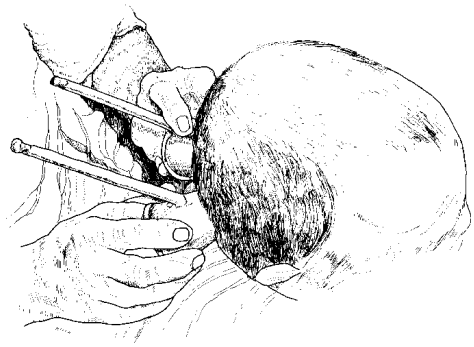

تثبيت المحجمتين

المعالجون الشعبيون أن الحجامة لا تصلح لمن عنده انسداد أو التهاب في الأنف.

ولا تجرى الحجامة في كل موضع من الجسم، إذ لها مواضع، فهي تُجرى في أماكن مختلفة من الجسم؛ أشهرها خلف الرأس، وأعلى الظهر، وجانبي الركبة، والساق في منتصف المسافة بين الركبة والقدم من الخلف، وجانبي العينين، ولا يجوز إجراؤها في الصدر أو في اليد أو الفخذ أو البطن.

واختلف الحجّامون في العمر المناسب للحجامة. يرى بعضهم أنه يبدأ من ثماني سنوات، ويقول آخرون إنه يبدأ من ١٢-١٥ سنة، ويرى فريق ثالث أن من لم يحجم وقد بلغ الأربعين فليس له أن يمارسها بعد ذلك (حنَّا ١٩٩٨: ١٧٤).

ويُجري الناس الحجامة لعلاج أمراض مختلفة مثل أوجاع الرأس، والدوار، ووجع العينين، وآلام الأسنان، وآلام الصدر والكحة، وآلام الظهر

التأكد من دقة تثبيت المحجمتين

شفط الدماء

والساق، والركبة، والبواسير، وهناك من يستخدمها للدغة العقرب.

وعند العامة في معظم مناطق المملكة، تجرى الحجامة ليخف الشخص، حسب التعبير الدارج، ويصفى بصره. وبعض الناس يحتجم في العام مرة واحدة على الأقل، ويرى في ذلك تجديداً للدم ولنشاط الجسم بصفة عامة. والمعروف أن أهم تأثيرات الحجامة هي خفض ضغط الدم وهو تأثير يصاحب عملية التبرع بالدم حديثاً.

كما قال الحجامون إن هناك أمراضاً لا تعالجها الحجامة مثل؛ السل، والصفار، والكلى، والكسور، والدمامل، والسخونة، وأمراض القلب، والروماتيزم والغازات في البطن (حنّا ١٩٩٨: ١٧٢-١٧٦)

والحجامة على نوعين؛ الأول هو ما يسمى بالحجامة الجافة، وتعرف عند أطباء العرب القدامى بالحجامة بلا شرط، والثاني هو ما يسمى بالحجامة الرطبة أو المبزغة أو الدامية، وتعرف عند أطباء العرب القدامى بالحجامة بالشرط. ففي الحجامة الجافة يُسخَّن الهواء بداخل الكأس بأن يحرق شيء بداخله فيتمدد الهواء بالحرارة وعند ملامسة الجلد يكب الكأس عليه وإلصاق فتحته على الجلد يبرد الهواء فينكمش ويقل حجمه فيحدث

تجفيف الدماء بعد نزع المحجمتين

حجامة القدم

تفريغ داخل الكأس، يجذب الجلد إلى داخل الكأس ويستخرج منه كمية من الدم. أما الحجامة الرطبة، فتختلف عن سابقتها، بأن تجرح جروح سطحية بالمشرط (الموسى) في الجلد، طول كل منها حوالي ثلاثة سنتيمترات، ثم توضع الكأس، بالطريقة السابقة نفسها، فتمتص كمية أكبر من الدم الذي يخرج من الجروح في المكان الذي احتجم فيه.

ومن أهم أدوات الحجامة عند الأطباء الشعبيين في المملكة المِحْجَم؛ وهو وعاء له شكل بوقي، يصنع من

محجمة معدنية

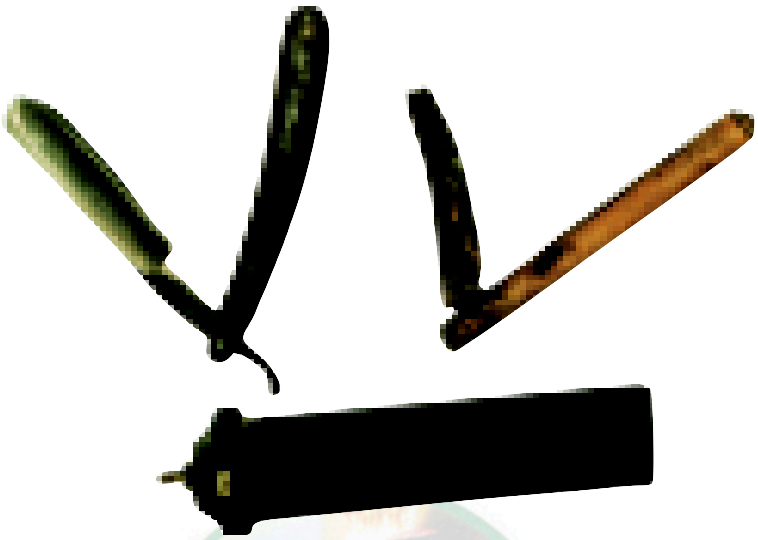

أمواس الحلاقة مع المسن

المعدن أو النحاس أو الزجاج، ومنهم في الباحة من يستخدم قرون الثيران المستقيمة والمتوسطة. والمحجم مفتوح من الاتجاهين، ولكن إحدى الجهتين واسعة وهي التي توضع على المكان الذي تجرى الحجامة فيه، وهو يشبه البوق إلى حد كبير، وقد يؤنث فيقال محجمة (والجمع محاجم). ومن الأدوات المهمة في الحجامة الموسى أو الشفرة، وبها تجرى عملية تشريط الموقع في حالة الحجامة الرطبة أو الدامية. ويرتبط بذلك المِسَنّ، بكسر الميم وفتح السين وتشديد النون، ويسمى أيضاً المبْرد، ويسميه أهل الوشم ميلقْ. وتجمع كل هذه الأدوات التي يستخدمها الحجام في حقيبة (شنطة) خاصة، يحملها الحجّام عندما يذهب لأداء عمله، وتعرف عند عامة أهل نجد بالعيبه. ويستخدم الحجام في الزمن الحالي المطهرات المختلفة مثل الديتول وغيره لتطهير مكان الجروح.

شنطة أدوات الحجامة

الفصد

من الممارسات العلاجية الشعبية التي كانت شائعة قديماً، وهو إحداث شق أو قطع في الوريد أو العرق، وإسالة الدم منه. والفصد في الطب الشعبي ممارس منذ أقدم العصور، وقد نبّه أطباء المسلمين القدامى إلى أن الدم لا ينبغي إخراجه من جسم الإنسان إلا للضرورة. وكانوا يفصدون المريض لإخراج الدم الفاسد من الجسم، دفعاً للمرض، وحفاظاً على صحة الإنسان. وهناك شروط محددة دقيقة في الشخص الذي يتولى عملية الفصد، وكذلك في الشخص المفصود (المريض). كما أن هناك شروطاً أيضاً للأدوات التي تستعمل في عملية الفصد، وفي المبضع الذي يفصد به. ويشترط في من يقوم بعملية الفصد أن يكون خبيراً عارفاً بالعروق من أوردة وشرايين، ملماً بأسمائها وطريقة فصدها، وأنواع الأمراض التي يفصد لها، وكيفية التئام الجرح بعد عملية الفصد. كذلك يجب أن يُختار الفصل المناسب من فصول السنة لعملية الفصد، فقد قيل إن فصل الربيع هو أفضل الفصول للفصد، ويليه أوائل أشهر الصيف. ويجب أن يكون الفصد الذي يُجرى في فصل الصيف صغيراً ولا يشق العرق، ولا يقطع قطعاً كبيراً خوفاً من شدة النزيف. وينصح الأطباء الشعبيون، الذين لهم باع طويل في عملية الفصد، بعدم إجرائه في فصلي الخريف والشتاء. أما مبضع الفصد فيجب أن يكون رفيعاً ليناً نظيفاً خالياً من الصدأ. وأن يحفظ بعيداً عن الغبار والرطوبة، وأن يُطَهَّر بالنار جيداً قبل عملية الفصد وبعدها. لأن كثيراً من الفيروسات -وكائنات مجهرية أخرى- يمكن انتقالها عن طريق الدم.

ويجب أن يكون الشخص المفصود في حالة استرخاء تام، ونفسيته جيدة، خالي المعدة. ولا يفصد المريض في فترة الحمّى أو في وقت تهيج الوجع، كما لا يفصد الإنسان دون الخامسة عشرة، ولا فوق سن الستين، كما ورد في الحجامة.

والعروق التي تفصد أوردة، وهي تزيد على خمسة وثلاثين وريداً، موزعة في أجزاء الجسم مثل الرأس واليدين والرجلين والبدن. والفصّادون، عادة، يعرفون أسماءها ومواقعها وأنواع الأمراض التي يفصد كل وريد لها. فمثلاً عرق النسا، يفصد له، عادة، فوق الكعب، والصافن عن يسار الكعب، يفصد لأمراض ضعف الطحال والكبد. وعرق الجبهة، الذي

ينتصب، عادة، في وسط الجبهة، يفصد للصداع وللشقيقه أيضاً. وعرق قمة الرأس (الهامه) يفصد للشقيقه والسعفه والقراع. أما عرق الصدغ، وهو الملتف على مفصل الفك، فيفصد لأمراض العين، وكذلك أوجاع اللوزتين. أما العرق الذي على يمين السرّة، فيفصد لعلل الكبد. والعرق الذي على يسار السرّة، يفصد للطحال.

التجبير

عرف الطب النبوي علاج الكسر بالجبيره، فيروى عن علي بن أبي طالب # قوله «انكسر أحد زنديَّ فجبرته، فسألت رسول الله ﷺ فقال: امسح عليه. يجوز المسح على الجبيرة إلى حين البرء (رواه ابن ماجه). كما اهتم الأطباء المسلمون بهذا النوع من العلاج، فأورده أبو القاسم الزهراوي المتوفى سنة ٤٠٤هـ في كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف. وخصص له الباب الثالث وفصَّل أنواع الكسور، التي تعرض للإنسان وطرق علاجها والأدوات المستخدمة لذلك.

ويُعد التجبير من أكثر طرق العلاجات الشعبية التي تنال ثقة كثير من الناس. وفي الغالب يقتصر عمل المجبّر على تجبير الكسور والخلع ونحوها، إلا أن بعض المجبرين يصفون إلى جانب ذلك بعض العلاجات الشعبية من أعشاب وغيرها. أي أنهم يجمعون بين أكثر من طريقة للعلاج. وكانت أكثر أسباب الكسور شيوعاً في الماضي السقوط في الآبار، أو من على الجدران والدواب، والنخيل. أما في الوقت الحاضر فمعظمها ينشأ من حوادث السيارات، والحوادث المنزلية كالانزلاق ونحوه، وكذلك إصابات هواة الرياضة، خاصة لاعبي كرة القدم، ونتج عن ذلك ظهور الطب الرياضي.

والمجبّرون المعاصرون في المملكة ورث بعضهم الخبرة عن آبائه، واكتسبها آخرون من تجاربهم الشخصية. وهناك من زاول التجبير على إثر موقف شخصي تعرض له هو أو أحد أقاربه، فوفق في عملية التجبير بنجاح. وتختلف الأدوات التي يستخدمها المجبرون اختلافات يسيرة، إلاّ أن العامل الحاسم لنجاح التجبير -في رأيهم- هو الخبرة المكتسبة في هذا المجال. ويتميز معظم المجبرين بقوة الشخصية والثقة في النفس، وهي أمور مطلوبة في من يزاول مثل هذا العمل.

وقد كانوا يجبرون فيما مضى كل أنواع الكسور، قبل انتشار المستشفيات. وكانت بعض عمليات التجبير تستغرق

وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً. أما الآن فإن أكثر المجبرين يحيل الحالات المعقدة إلى المستشفيات، خاصة إذا كانت مصحوبة بنزيف. وعلى حين يستفيد بعضهم من صور الأشعة في إجراء عملية التجبير، نجد آخرين لا يرون لذلك أهمية تذكر، ويفضلون الاعتماد على الخبرة الشخصية، وعلى ما يصفه المريض من أعراض.

ويتفق معظم المجبرين الشعبيين المعاصرين على أنه لا داعي لحجبة المكسور بعد تجبير كسره، على حين يرى بعضهم أن المريض يجب أن يُحْجب عن اللحوم الثقيلة والتمر والسمك والجماع. ويقال إن المريض إذا تناول التمر أو جامع قبل أربعين يوماً فإن كسره الذي تماثل للجبر ينكسر من جديد. ويحميه بعضهم عن الحَوارّ والحوامض والمشروبات الغازية.

ويرى بعض المجبرين الشعبيين أن الطريقة التي يستخدمونها أفضل من الطريقة الحديثة التي تستخدم الجبس، لأنها تمكنهم من متابعة تطور مراحل العلاج، والشد على المنطقة المُجبّرة، كلّما خف الورم الناتج عن الكسر. على حين لا يمكن فعل ذلك مع وجود الجبس. كما أن استخدام الجبس لا يُمَكِّن من معرفة نجاح التجبير أو فشله، إلا بعد مدة طويلة قد تصل إلى ثلاثة أسابيع. أما في التجبير الشعبي فغالباً ما يكون المريض قد شفي خلال تلك الفترة. ويرى بعض المجبرين الشعبيين أن الجبس نفسه له دور في تأجيل الشفاء. ومنهم من يستعمل الدقيق ويرى أنه أقل حرارة من الجبس. كما يرون أن من المآخذ على التجبير الحديث كبرُ مساحة المنطقة المجبرة، زيادة عمّا يحتاجه المصاب. فقد يكون الكسر في إصبع واحد فقط، ومع ذلك تجبر اليد كاملة.

وتعتمد طرق التجبير المستخدمة عند المجبرين الشعبيين على نوع الكسر من ناحية، وعلى قوته أو خطورته من ناحية أخرى، فالكسور تتفاوت تفاوتاً كبيراً، فمن كسر بسيط لأحد الأصابع، إلى كسر مضاعف في الفخذ، أو شرخ في الجمجمة وغير ذلك. ويُصَنِّف بعض المجبرين الكسور إلى ثلاثة أنواع، حسب نوع الإصابة والآلة التي سببت الكسر، وهي؛ المنحني والمفتت والمنصرم. ففي النوع الأول وهو المنحني، يكون العظم منحنياً فقط وعلاجه بسيط، إذ يلزم فقط فرده بقوة وإعادته إلى وضعه الأصلي، ويُلف عليه سنايف (قطع خشبية مستطيلة) محاطة بالقطن ويُربط المدة اللازمة. أما المفتت، وهو الذي يتفتت

فيه العظم إلى قطع، فيأتي في الدرجة الثانية من حيث صعوبة تجبيره

وأشد الأنواع الثلاثة خطورة هو المنصرم، الذي ينتج عن البتر بآلة حادة ونحوها، ويلزم جهد كبير لعلاجه.

ومن الإصابات التي يطببها المجبّرون الشعبيون؛ المَلْع، وهو انفلات الكتف عن الترقوة، حيث ينقلب المفصل. ويعالجه بعض الأطباء الشعبيين، منهم الشيخ يحيى بن يحيى دوم مدخلي، من سكان صامطة في منطقة جازان، بالتدليك والتكميد المستمرين حتى يُسْمع صوت رجوع المفصل إلى مكانه. على حين يعالجه بعضهم، ومنهم علي بن مزروع في المنطقة الوسطى، باستخدام اللصقة (البلاستر) حيث تمد الجهة المصابة جيداً، ثم توضع عدة طبقات من اللاصق بطريقة معينة يتقنها الطبيب المعالج، ولا يُحْمَى المريض عن أي شيء، لأن هذا النوع من الإصابة يعد -كما يقول ابن مزروع- من أهون الإصابات.

وهناك كسر الترقاة (الترقوة)، الذي يعُالج بشد الكتف لأعلى حتى يلتقي طرفا العظمين المكسورين، ثم يُجْعل عليه اللاصق ويشفى بعد أيام قليلة. وهنا أيضاً لا يُحْمى المريض، ويترك اللاصق لمدة أسبوع، وتوضع مخدة لدخول الهواء، وتعلق اليد ولا تحرك وتشفى بإذن الله.

أما عن انفصال الساق عن الركبة فيقول الطبيب الشعبي المجبِّر يحيى مدخلي إن علاجه ينجح نجاحا كبيرا، وذلك بمحاولة إرجاع المفصل للركبة بالزيت والتدليك والتكميد بقطعة قماش مبللة بالماء الساخن، ثم التجبير لمدة ثلاثة أيام تفك الجبيرة بعدها، وتمرّن الرِّجل للخلف حتى ترجع لحالتها الطبيعية. ثم تجبّر مرة ثانية لمدة ثلاثة أيام فقط حتى لا تتصلب، ثم تفك الجبيرة وتمرن الرِّجل للأمام والخلف. وتستمر هذه المحاولات لمدة عشرين يوماً أو شهر، حتى يتماثل المريض للشفاء. وفي حالة انفصال العضد عن الساعد، فإنه يُجبِّر الذراع وهي ممتدة، بقطعة من ورق مقوَّى، مثل الكرتون، وقماش شاش لمدة ثلاثة أيام. بعد ذلك يجبّر الذراع بالدقيق والشاش أو القطن، ويضعه على الصدر لمدة ثلاثة أيام، ثم يُمرّن الذراع. ويعيد العمليتين السابقتين مع التمرين حتى يشفى المريض. أما الكسر في مشط الرجل فيعالجه المجبر الشعبي بدهنه بصفار البيض، ثم ربطه

مكونات جبيرة كسر الفخذ

بالشاش، ويوضع في أسفل القدم قطعة صلبة من ورق الكرتون للحماية.

وفي حالة كسر الساق فإنه يجبر بوضع قطن، ثم ورق كرتون. ويستخدم ابن مزروع نوعاً من ورق الكرتون ذا ست طبقات، بحيث ينزع منها طبقة أو أكثر حسب الحاجة، وحسب السمك الذي يريد، مع ألواح خشبية رقيقة تسمى سنايفْ ثم تلف بالشاش وتربط ربطاً جيداً بشريط لاصق. أما كسر الفخذ فيلزم له جبيرة كبيرة.

وعند تجبير شرخ الجمجمة، يذكر يحيى مدخلي أنه يقوم بذلك عن طريق وضع قطعة من ثمرة القرع المجففة على قدر الفتحة الموجودة في الجمجمة بعد إحداث ثقوب بها، ثم يُصب السمن البلدي على القطعة يومياً لمدة أربعين يوماً، حيث يلاحظ نمو اللحم وخروجه

جبيرة كسر الساق

من الثقوب حتى يغطي الفتحة. ويمنع المريض عن الكلام الكثير، أو رفع الصوت بالكلام لمدة شهرين إلى ثلاثة أشهر.

وقد صمم الشيخ علي بن مزروع، وهو من أشهر المعالجين الشعبيين، لكسور الأصابع قطعاً من ورق الكرتون المقوى حسب الحاجة وحسب حجم الإصبع. فيوضع الكرتون على المكان المصاب ويثبت جيداً بالشاش، ثم بالشريط اللاصق.

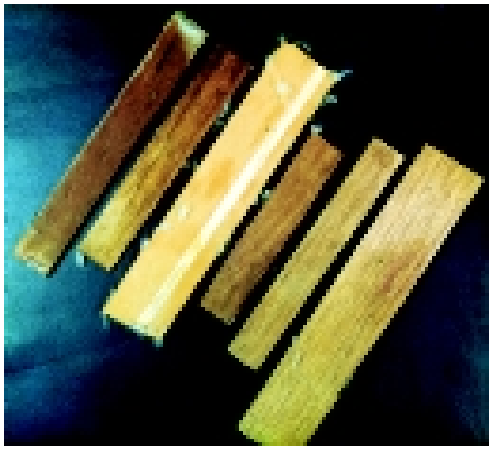

السنايف

وكان المجبرون فيما مضى يعتمدون كثيراً على استخدام جريد النخل، والسمن البلدي، ودهن إلية الخروف، وقطع القماش، مما كان متوافراً في البيئات المحلية التي تختلف من منطقة إلى أخرى. أما في الوقت الحالي فيعتمد كثير من المجبرين الشعبيين على استخدام الشريط اللاصق في عملهم. ويذكر الشيخ علي بن مزروع أنه يستهلك شهرياً

تجبير كسر الأصبع

الشريط اللاصق

ما تزيد قيمته على ألفي ريال من الشريط اللاصق. كما يستخدمون الكرتون المقوى الذي يُختار نوعه بعناية ودقة. وقد سهَّل توافر المطهرات والشاش والقطن كثيراً من عمل المجبرين. ومن الأدوات التي ينتشر استخدامها بكثرة بين المجبرين الألواح الخشبية الرقيقة السنايف. وتحدد طول وسمك السنايف حسب نوع الكسر وعمر الشخص المصاب، وكذلك يمكن تشكيل الورق المقوى حسب نوع الإصابة.

ويمكن استخدام بعض عظام الحيوان في التجبير. ويروى أن طبيباً شعبياً هو السريحي من قبيلة حرب في منطقة المدينة وكان ذلك منذ ٩٠ سنة تقريباً أجرى عملية جراحية لرجل فقد قحف جمجمته في معركة حربية وأصبح دماغه مكشوفاً، فقتل الطبيب كلباً وأخذ من جمجمته مقدار ما فُقد من جمجمة الرجل فوضعه بديلاً للعظم المفقود. وشفي الرجل بعد أن جبرت عظام الجمجمة، وعاش عُمراً طويلاً.

وكانت الكسور المصحوبة بالنزيف تعالج فيما مضى -كما يشير إلى ذلك يحيى مدخلي- باستخدام نبات الأروى والحشفاء لوقف النزيف. أما في الوقت الحاضر فإن كان النزيف قليلاً فإنه يعالج بالمطهرات والمساحيق، ومن ثمَّ يُجبَّر الكسر. أما إن كان النزيف شديداً فيُحال المريض إلى المستشفى لعلاج النزيف وإيقافه، قبل تجبير المريض.

وعلى الرغم من أن المجبر الشعبي ابن مزروع يردد المقولة «كل نفس دواها غذاها» إلا أنه يحجب المريض عن الحَوارّ والحوامض والمشروبات الغازية لأنها، كما يقول، تحدث التغار أي التجشؤ وهو يُحرِّك العروق ويضر بالمكسور. ويحمي ابن مزروع أصحاب الكسور الكبيرة، وهي التي تصيب العضد أو الساق أو الفخذ، عن الجماع، كما ينصح، بصفة عامة، بأكل خبز البُر بعد التجبير. على حين ينصح بعض المجبرين الآخرين بتناول الرشاد (الثفّاء) ليساعد في سرعة الشفاء. وقد أصبحت فائدة الرشاد في

تجبير الكسور مشهورة عند أهل الباحة، ويروون أن صياداً اصطاد حجلة، فلاحظ نتوءاً في إحدى ساقيها، وبالتمعن فيه رأى حبيبات من الرشاد (وحب الرشاد من الحُرْف) في موقع الإصابة وتعجَّب من ذلك وقد تكون هذه الحكاية مختلقة، لكنها دفعت عامة الناس لا الأطباء وحدهم، إلى القناعة بفاعلية حب الرشاد.

ولا يمكن تحديد المدة اللازمة للشفاء بعد تجبير المصاب، فالشفاء بيد الله أولاً وأخيراً، على حين يشير بعضهم إلى أن أقصى مدة لازمة هي أربعون يوماً، خاصة للكسور الكبيرة. ويعتمد ذلك على مدى التزام المصاب بالتعليمات، خاصة من حيث الحركة، وعلى درجة الكسر أصلاً.

ويُستدل على علامات حدوث الجبر بسؤال المريض عن التحسن الذي طرأ عليه. وهل يشعر بأي نوع من الألم، ثم يُعْرف حقيقة ذلك بتحريك الجزء المصاب. فالرِّجل، مثلاً، تختبر بأن تُحرك، فإن صلبت (استقامت) وسهلت حركتها، يكون الكسر قد جبر، وإلاّ فقد يكون هناك ضرورة لكسرها مرة أخرى وإعادة تجبيرها. وعلى حين يعمد بعض المجبرين إلى الكسر مباشرة لإعادة التجبير، فإن بعضهم يضع شيئاً من إلية الخروف على موضع الكسر، ويُسلّط النار عليها حتى تذوب، لتليين العظم الذي يكسر بعد ذلك بسهولة ويجبر مرة أخرى.

ومن الأمور اللافتة للنظر ما يشير إليه ابن مزروع، من أن مكان الكسر إذا جَبَر يصبح أشدّ قوة مما كان عليه من قبل، لدرجة أنه لو تعرض العضو نفسه للكسر مرة أخرى فإنه ينكسر من فوق أو من تحت الجزء السابق لالتحامه.

الكي

هو أشهر طرق العلاج المعروفة منذ القدم في جزيرة العرب، والمناطق المتاخمة لها؛ ومن أقوال العرب المشهورة «آخر الدواء الكي». وقد كان الكي معروفاً في الجاهلية، وظل ممارساً عند العرب بعد الإسلام. ففي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال «الشفاء في ثلاث؛ شربة عسل وشرطة محجم وكية نار. وأنا أنهى أمتي عن الكَيّ» (رواه البخاري ومسلم). وقد فُسِّر نهي النبي ﷺ عن الكي، بأن الكي جنسان؛ كي الصحيح لئلا يعتل، فهذا الذي قيل فيه «لم يتوكل من اكتوى»،

لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه، والثاني كي الجُرح إذا نغل (تعفن وتورم) والعضو إذا قطع ففي هذا الشفاء. ولم يُرِد النبي ﷺ الحصر في هذه الثلاث فإن الشفاء قد يكون في غيرها. وعلى كلٍ فقد وردت أحاديث تدل على كراهة استعمال الكي وأحاديث تؤيده. ويؤخذ من الجمع بين نهيه ﷺ عن الكي وبين جواز استعماله، أنّ الكيَّ لا يترك مطلقاً، ولا يستعمل مطلقاً بل يُستعمل عند تعيّنه طريقاً إلى الشفاء، مع مصاحبة ذلك باعتقاد أن الشفاء من عند الله تعالى.

وقد احتل الكيّ مكان الصدارة في طرق العلاج الشعبي الممارس في المملكة، قبل دخول الطب الحديث. وعلى الرغم من أنه كان يمارس على نطاق واسع جداً، ومن قِبَل عدد كبير من الممارسين الشعبيين، إلا أنه اشتهر به من بينهم طائفة معينة ممن كوَّنوا خبرة كبيرة على مر السنين. فأحاطوا بالأمراض وعلاماتها، والأماكن الصالحة للكي، والأداة المناسبة لها. ولا يكاد يخلو بيت في المملكة من وجود شخص أو أكثر قد جرى كيّه خلال فترة من حياته. والقصص في هذا المجال متداولة مشهورة بين العامة، وتكاد تكون متواترة، وكلها تجمع على نجاح هذا الأسلوب في علاج عدد من الحالات المرضية الميؤوس منها.

يوجد اعتقاد راسخ لدى الناس بأن للنار مفعولاً علاجياً أكيداً؛ سواء حرق بها نباتات أو مواد ثم تناولها الإنسان أو أدهن بها أو كوي باستخدام آلات أو أدوات حديدية أو غير حديدية مباشرة على جسم الإنسان أو الحيوان، وهو ما اصطلح على تسميته؛ العلاج بالكي.

وقد عرف العرب الكي علاجاً منذ أمد بعيد، وأعانهم على ذلك معرفة دقيقة بتشريح الجسم البشري، ومن هنا اتخذوا من الكيّ وسيلة علاج فاعلة، فبرع أطباؤهم باستخدام الكي، يدل على ذلك ما ذكره ابن سينا في كتابه القانون والبغدادي في كتابه المختارات في الطب. وقد أورد ابن سينا فصلاً كاملاً عن الكي وخاصية العلاج به. وقد كان أبو القاسم الزهراوي أكثر أطباء المسلمين استخداماً للكي، وفلسفته في ذلك أن الكي لا يتعدى فعله ما بعد العضو المصاب بعكس أدوية أخرى يتعدى أثرها إلى أعضاء أخرى وربما أتلفت العضو وجعلت علاجه مستحيلاً.

والكي إحراق الجلد باستخدام أداة حديدية أو غير حديدية بعد تحميتها في النار، وقد تسمى رشمه أو رقمه، وسبب

ذلك ما يخلفه الكي من علامة في الجلد.

ولنجاح الكي شروط تتعلق بالمعالج والمريض وعملية الكي. أمّا المعالج فمن شروطه:

١) إجراؤه عملية الكي على طهارة.
٢) أن يكون مزوداً بالخبرة والمهارة اللازمتين.
٣) تحديد مكان الكي بدقة.
٤) تحديد عدد الكيات المطلوبة.
٥) طريقة الكي، وهل هي مطرق أو عرق أو صليب، إلخ.
٦) السرعة وخفة اليد.
٧) الثقة بالنفس والجرأة والإيمان بالله.

أما شروط الكي بالنسبة للمريض فمنها:

١) أن تكون لدية ثقة في المعالج الذي يتولى كيّه.
٢) أن يكون متماسكاً يتحمل الألم لأن عدم الثبات يجعل الكية تطيش عن مكانها المحدد.
٣) تأخير الاستحمام حتى يبرأ موضع الكي.

أمّا الكي الناجح فمن شروطه:

١) أن تكون المكواة محمّاة تحمية جيدة فيحمّر لونها حتى تكون الكية صالحة.
٢) عدم تخدير المريض إذ إن الإحساس بآلام الكي جزء من العلاج.
٣) عدم علاج أثر الكي بأي مواد تساعد على شفاء الحرق بل لا بد أن يترك الحرق ليشفى وحده في مدته المطلوبة.

أما ما يفسد الكي فهي جملة أمور أهمها:

١) يعد الماء من أول الأشياء التي تعيق عملية الشفاء لذا يحذر المريض من أن يمسّ الماء حتى تشفى الكيّة.
٢) العطور والروائح النافذة تكون أيضاً مضرة ومفسدة لعملية الكي. لأن الكيّ يحدث جرحاً يتأثر كغيره من الجروح بأنواع من الروائح التي تصيبه بالشمم، إذ يتورم له الموضع وتصاحبه آلام ويتأخر شفاؤه ما لم يكافح بالكبو أو شم أدوية مضادة للشمم مثل المر.
٣) العلاج الدوائي يفسد الكي وعلى المريض أن يتجنبه.
٤) خطأ الكواء في تنفيذ عملية الكي مما يؤدي إلى تورم الكية وخروج الصديد منها.
٥) الجماع، وهناك خلاف حوله، ولكن أكثر الآراء ترى أن الجماع من مفسدات الكي وعلى المريض أن يتجنبه.

وفي الوقت الحالي، وعلى الرغم من انتشار المستشفيات والمراكز الصحية

في مختلف أنحاء المملكة، مدنها وقراها، ما يزال الكي يمارس، وإن كان استخدامه قد انحسر بشكل كبير. ويكاد يقتصر الكي على الحالات المرضية، التي ما يزال الطب الحديث عاجزاً عن إيجاد علاج ناجع لها. ومن ذلك مرض أبا الوجيه، وهو شلل في أعصاب الوجه يؤدي إلى حدوث ميلان في أحد شقَّيه، ومرض الضلوع أو الجنب أو أم جنيب أو ذات الجنب، ومرض عرق النسا، والصفار أو الشغار، والوشره والآكله، والملع أو المصع وغيرها.

ويُجري المعالج الكي في مناطق محددة في الجسم، لعلاج كل مرض من الأمراض المعروفة. أما إذا كانت منطقة الإصابة غير محددة، فيجس المعالج المريض بيده حتى يحدد مكان الألم، ثم يَسِمْه بقلم أو فحمة. وقد يكون ذلك في موقع واحد أو في أكثر من موقع، ثم يحدد نوع أداة الكي التي سيستخدمها، وذلك حسب طبيعة المرض ومكانه وحجم المكان المراد كيه. ثم يضع الأداة على النار، وفي العادة يستخدم الفحم المتقد (الجمر)، وقد يستخدم اللهب المباشر. وبعد أن تشتد حرارة الأداة (تحمّر)، يجري كيّ أو لذع المكان الموسوم بها. وقد يوضع فوقه بعد ذلك بيضٌ مخفوق أو رماد. وقد يحجب المعالج المريض عن أكل بعض الأغذية. وحين يكوى من النفره مثلاً يعد له طعام هو خليط من عدد من الأصناف المسموح بها ويأكله بعد الكيّ مباشرة ويكون طعامه من هذه الأنواع مدّة حجبه. وقد عُرف رجل اسمه مسعود في منطقة الباحة قديماً بقدرته على العلاج بالكي، وكان يختار موقع الكي بعناية، وعندما يكوي المريض يقول «كية مسعود والشر ما يعود»، وقد ذهب قوله مثلاً في حال البت في الأمور.

ومن الأطباء الشعبيين المعاصرين المشهورين بالكي، على مستوى المملكة ودول الخليج، صالح بن محمد الصمعاني. وهو يرى أنّ فحص المريض بأن يستمع إليه، وأن يترك يصف أعراض المرض، ثم يُطَمْأَن وتُكْسَب ثقته. ويقول إن هذه تعاليم ديننا الحنيف التي تحثنا على أن نتلطف بالمريض ونهوِّن عليه مصيبته، وهذا أمرٌ مهم جداً في العلاج. ثم تُفْحَص عروق المريض وعيناه ولسانه حسب الحاجة، وحسب نوع المرض. ولا يكوى إلا بعد التأكد من أنه سيستفيد من ذلك بإذن الله.

وتسمى أدوات الكي مِكاوي (مفردها مِكْوى أو مكواه)، والفرق بينها يكمن

أنواع من المكاوي

في أشكال نهاياتها الكاوية. وقد كانت أنواعها فيما مضى كثيرة، أما الآن فلم يعد يستخدم منها إلا عدد قليل. ومن أشهر الأدوات المستخدمة حالياً؛ المطرق، وإذا كان صغيراً سمي مطيرقْ، وهو عبارة عن قضيب حديدي ذي رأس منحنٍ. وكذلك المسمار، وله أحجام مختلفة، و المحش وهو المنجل المعروف لقص الأعشاب والشجيرات، وهو على شكل نصف دائرة، وتستخدم نهايته الطرفية للكي. والإبرة وأحجامها مختلفة. وهناك عدة أدوات أخرى لها أشكال متباينة وليس لمعظمها أسماء محددة. وقد تنسب المكاوي للأمراض التي تستخدم لكيِّها، فيقال مثلاً مكوى النفره، أي أداة الكي المستخدمة لعلاج النفره، ومكوى النفرة مثل شعبي يُقْصد به الوقوع على الموقع المناسب. فمثلاً عندما تشتري محلاً في أفضل موقع في السوق يقُال لك «لقد وقعت على مكوى النفره». ومكوى أم ذيل، أي أداة الكي المستخدمة لعلاج أم ذيل، وهو من الأمراض التي تصيب العين، وهكذا. وقد تُستخدم للكيّ أي أداة أخرى مناسبة متاحة من البيئة، خاصة فيما مضى، عندما لا توجد المكواة المناسبة أو الخاصة بالمرض. فقد حدث أن أصابت أحد الأشخاص آكلة في ساقه، ولم تُجْد معها العلاجات الشعبية المتوافرة آنذاكَ (قبل خمسين عاماً)، فلجأ للكي مستخدماً سكيناً غير حادة، تسمى عند العامة الطبجه، فأحماها على النار، حتى كادت تقطر (كناية عن شدة الحرارة)،

ثم كوى المنطقة المصابة فانفجرت وخرج ما بداخلها من الصديد. ثم وضع مرًّا داخل الجرح ولفه بقطعة قماش فشفي المريض تماماً خلال أيام. وقد يُستخدم للكي، خصوصاً كَي الأطفال أو الأجزاء الدقيقة من الجسم مثل سطح المعدة، وسائل أخرى تكون أصغر وأقل حدة من الحديد، مثل استخدام أغصان شجر الغضا ونحوه، بحيث يتم كي (لقط) الصغير بكيات صغيرة.

ومن وسائل الكي أيضاً الكي بالقماش (العطبه)، وذلك بلف قطعة القماش على هيئة سيجارة ثم إشعال النار فيها. وتستخدم هذه الطريقة في كي الثواليل أي الثآليل، وكان بعض الصبية في نجد يكوون سواعدهم وسوقهم بهذه العطب توهّما أن القدحه، أي الكية بالعطبة، تؤدي إلى جعل اليد أكثر ثباتاً وإصابة عند الرمي فيوصف صاحبها بأنه قدي، وأما إن كُوِيَ في الساق فيكون سريعاً في جريه. وفي الباحة كانوا يستخدمون فتيل البندق للكي في الأماكن الحساسة من الجسم، وهو مصنوع من ورق نبات الحلفا. الذي ينبت قريباً من الماء وبطون الوديان.

ويصاحب عملية الكي بعض العادات والتقاليد؛ ففي بعض المناطق الجنوبية من المملكة، يُحضر أقارب الشخص الذي سيكوى وعاء به ماء. وعندما يكوى المريض تغمس أداة الكي مباشرة في وعاء الماء، فيقول أقارب المريض «طفى الباس» مع الصوت الذي ينتج من انغماس الآلة الحارة في الماء البارد. وعبارة «طفى الباس» تعني زال المرض بإذن الله. ثم يغسل المريض يديه ووجهه بالماء الذي غمست فيه آلة الكي، ويجهز له الأقارب القهوة، ويحضرون له صرة من المر لكي يشمها بعد الكي مباشرة. وفي بعض المناطق يحتفظ بالصّرة بجانبه لكي يشمها بين وقت وآخر، حتى لا تستشم، أي تتقرح جروح الكي.

ومن أهم الأمراض التي تعالج بالكي، النزيف الذي يصنفه الأطباء الشعبيون على نوعين؛ الأول نزيف الأنف، وهو خروج الدم من فتحتي الأنف أو إحداهما بحيث يزيد عن الإرعاف، أو الرعاف المعروف لدى العامة. فعندما يتكرر النزيف على نحو يؤدي إلى القلق، يعالج بالكي خلف الأذن حسب اتجاه النزيف، من الفتحة اليمنى أو اليسرى أو من كليهما. ويطبق المريض حمية عن الجماع وحمل الثقيل، ويأكل المرّ (جمع مرّة) مع عدم استخدام علاجات أخرى. أما الثاني فالنزيف

المهبلي، أي خروج دم غير دم العادة الشهرية أو دم النفاس، وهو أمر تميزه المرأة نفسها، سواء خرج في غير وقت العادة أم جاء في بدايتها أم عند نهايتها، بحيث يسبب لها زيادة في أيام العادة، يطلق عليها الاستحاضه. ويعالج ذلك بالكي في الساق فوق الكعب.

ويُحْمى المريض المُعالَج بالكي من النزيف، من أكل لحوم ذكور الأنعام (التيس والخروف والبعير)، ويسمح له بأكل الخصيّ والرخلة (الأنثى الصغيرة من الغنم والحايل، وحتى التي لا تلد)، كما يمنع من أكل الحوارّ (المواد الحرّيفة) والخيار والباذنجان. ويستعمل المريض نوعاً واحداً من الشاي، حتى لا يستنكر، أي يتأثر بتغير نوعيته.

ومن الأمراض التي تعالج بالكي، الجنب أو أم جنيب (ذات الجنب) وهي ألم يصيب الخاصرة، وقد تُصاحبه حمى، ولا يستطيع المصاب أن ينام على جنبه. ويرى الطب الحديث أن ذات الجنب تنشأ عن علة في الجلد أو العضلات والأعصاب الوربية، أو عظام القوصرة الصدرية، ويرى الأطباء الشعبيون أنها تنشأ عن لفحة برد، أو هواء عاصف، أو تعب شديد. وقد تسمى عند العامة اللتبه أو الريح. وهي تكوى من جهة أسفل الأضلاع (الضلوع) في الجنب المصاب، مع الحمية. ويذكر بعض الأطباء الشعبيين أن من علامات هذا المرض تفتُّل أهداب العين، بحيث يكون كل هدبين، أو ثلاثة مفتولة معاً. كما يعلل أحدهم سبب اللتبة بأن القميص الذي يحتوي البطن يعلق بالجدار. ويمكن تحديد المنطقة التي تحتاج للكي، بجس المريض باليد حتى يُعثر على المنطقة الباردة.

وفي عسير تُعالج اللتبة بأن يكوى المريض ثلاث كيات على كل جنب في نهاية الأضلاع. ثم تكوى فقرات الظهر، العدد نفسه من الكيات على جوانب الفقرات، بحيث تكون موازية لكيات فقرات الظهر. ثم تكوى الحنجرة كية واحدة، ثم كية أخرى أسفل الحنجرة بمقدار خمسة سنتيمترات. ويشفى المريض، بإذن الله، بعد شفاء آثار الكي.

ومن الأمراض التي تعالج بالكي عرق النسا، وهو ألم شديد، يصيب الذكور والإناث، يبتدئ من مفصل الورك وينزل من الخلف على الفخذ، وقد يمتد إلى الكعب. ويتمركز خط سيره على العصب الوركي. ويحدث، عادة، نتيجة لتخلخل في العمود الفقري، أو انفصال غضروفي فيه، أو ورم في فقرة، أو التهاب روماتيزمي في المفصل الوركي.

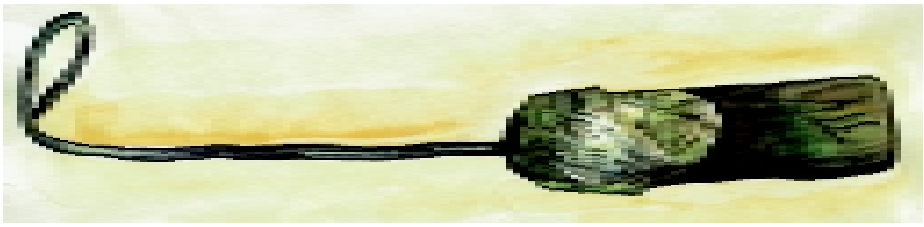

مكوى

ويرى بعض الأطباء الشعبيين أن من أهم أسباب الإصابة بعرق النسا الاتكاء على جنب واحد لفترة طويلة، أو المجامعة على جنب، أو السقوط من مكان مرتفع. ويُعد الكي من أشهر طرق علاجه عند العامة. ويكوى المريض كيَّتين، إحداهما على الورك، والأخرى فوق كعب الجهة المصابة بقليل، ويحمى من أكل اللحم. على حين يكويه بعضهم على ظهر القدم، من جهة الأصابع الثلاث الصغيرة مع الحمية.

ويُعد الكيَّ أشهر علاج لمرض الشغار، أي الصفار، وهو مرض اليرقان الذي ينتج عن تسرب الصفراء إلى الدم. ومن أبرز علاماته اصفرار العينين، ويصاحب ذلك ضعف عام للجسم. والصفار من أعراض أمراض الكبد المختلفة سواء أكان التهابات فيروسية أم تليفاً أم أوراماً، أم أمراضاً في الحويصلة الصفراوية (المرارة). ويذكر بعض الأطباء الشعبيين أن من علامات الإصابة بهذا المرض إصفرار لون العرقين الواقعين في الجهة السفلية من اللسان. ويعالج المرض بالأعشاب كالعصفر والكركم. وإذا لم تُجد هذه الأدوية العشبية يُلجأ لكَيٍّ المصَاب. ومع اختلاف الأطباء الشعبيين في أماكن الكي، إلا أنهم يجمعون تقريباً على الكي بشكل دائري على عظم اليد، باستخدام أداة كَيٍّ خاصة، مع الحمية عن الحوارِّ (الحبحر أي الفلفل الحار، والزنجبيل) والدهنيات، والجماع، لفترة محددة.

وفي بعض مناطق المملكة يُعتبر الكي العلاج الوحيد للصفار. والطريقة أن يكوى المريض كيَّاتٍ صغيرة على فقرات العمود الفقري، ابتداء من أسفل العنق حتى آخر الظهر. ثم يكوى على جانبي الفقرات بعدد الفقرات، ثم تكوى الرقبة من الجهتين، في كل جهة كيتين، ويُكوى كذلك العضدان، في كل عضد من الداخل كيتين، وفي الساقين يُكوى كيتين من الداخل عند منتصف الساق. كما

تكوى الجبهة على منبت الشعر كية واحدة، وكية أخرى في هامة الرأس، وكية ثالثة في مؤخرة الرأس، عند آخر منبت الشعر.

وفي جازان -مثلاً- يحلق الشعر تماماً، ثم يكوى المريض بعد الحلاقة مباشرة في هامته، ويحمى عن بعض الأطعمة، ويسمح له بأكل الخبز المعمول من الذرة الحمراء غير المخمرة، ويؤكل الخبز مع فرق (لبن رائب) مغلي، مع إضافة فلفل أسود، وزيت سمسم يسمى سَلِيطْ. ويستمر على هذه الحمية لمدة سبعة أيام، يمنع خلالها من الجماع.

ومما يعالج بالكي أيضاً، الشلل النصفي؛ وهو عبارة عن خدر طولي في نصف الجسم. وفي بعض الأحيان يرافقه ثقل باللسان، أو توقف كامل بحيث يعجز المريض عن الكلام. ويرجع هذا إلى الحالة النفسية للمريض وقوة عزيمته. ويجري علاجه أول الأمر بالتكميد (كما يذكر ذلك الطبيب الشعبي صالح الصمعاني) حيث يتم التكميد بالماء الساخن على الرأس والعلباة (مؤخر الرقبة) والصوابر (جوانب الوجه). فإذا لم يشْفَ المريض يُتدرج معه في العلاج الآخر، وهو الكي الذي يُعد علاجاً أخيراً لا يُلجأ إليه إلا عند الحاجة. أما عن موضع الكي فيُحدد حسب الحالة العصبية للشخص، وهو أمر يُتبين عند فحص عروق الرأس. وغالباً ما يكون الكي في زاوية الرأس فوق الأذن، وفي منطقة خلف الأذن. كما يجب على المريض الالتزام بالحمية، وهي بشكل عام تجنب أي علاجات أخرى، وتجنب الجماع والأحمال الثقيلة، مع أكل المرّ (المرّة).

ومما له صلة بالشلل النصفي ألم الظهر وألم اليد، عندما لا يستطيع المريض تحريكها أو رفعها إلى مستوى فوق الكتف، فتعالج بالكي مع تطبيق حمية الشلل النصفي نفسها.

وأبا الوجيه، ويسمى اللقوه، أيضاً مما يعالج بالكي. وقد عرف هذا المرض منذ وقت طويل، فعن نافع مولى ابن عمر رحمه الله «أن ابن عمر اكتوى في اللقوة، ورقي في العقرب» (أخرجه مالك). وعن أنس بن مالك # «أن أبا طلحة اكتوى وكوى أنساً من اللقوة» (رواه ابن سعد). وينصح الأطباء الشعبيون بتجنب الانتقال المفاجئ من الجو الحار إلى الجو البارد خوفاً من الإصابة بهذا المرض. ويعالج بالكي غير الشديد، كيتين على العرق الذي خلف الأذن. ويرى الطب الحديث أن للكي في هذه الحالة تأثيراً موسعاً للأوعية الدموية عن طريق

المنعكسات. كما يمكن أن تتولد مواد في الأنسجة المحترقة وما جاورها نتيجة للكي ويكون لها فعل موسّع للأوعية أيضاً.

ومن أشهر الأمراض التي تعالج بالكي الصرع، الذي يُعَرِّفه الشيخ صالح الصمعاني بأنه تشنجات تستمر للحظات قصيرة أو لفترة قد تصل إلى أكثر من عشر دقائق. وفيها يحصل احتكاك لأسنان المريض مع شَدٍّ في الأعصاب وفي هذا خطر على لسان المريض. وقد تتشابه أعراضه مع مرض الأعصاب، ولكن يُفرّق بينهما بالخبرة والاستعانة بالأشعة لمنطقة الرأس. ويعالج الصرع بالكي في هامة الرأس في النقطة التي يحددها الطبيب الشعبي حسب خبرته، مع تطبيق حمية عن الجماع وحمل الثقيل مع أكل المر، وعدم أخذ أي علاجات أخرى.

ويظن كثير من الناس أن الصرع نوع من مسّ الجن، وهذا غير صحيح. وهناك طرق لعلاج الصرع، وعادات مصاحبة لعمليات العلاج؛ ففي بعض المناطق الجنوبية من المملكة -خاصة النائية منها- يجعل الطبيب الشعبي المريض في مكان فسيح، ثم يرسم دائرة على الأرض حول المريض بسكين حديدية حادة، (لا يشترط أن يكون المصاب بالصرع في حالة نوبة الصرع)، ثم يتريث قليلاً ويرسم حلقة ثانية حول المريض بسكين أخرى غير السكين الأولى. ويكرر العملية سبع مرات ثم يعطي المريض بعض الأدوية العشبية مثل البعيثران ليشمه. ويذهب المريض إلى بيته، بعد أن يخبره الطبيب الشعبي أن نوبات من الصرع ستنتابه هذه الليلة، ولن تأتيه بعدها. ويعاني المريض فعلاً من نوبات الصرع في تلك الليلة، كما لم يعانِ من قبل، ثم تتوقف النوبات. ويمكث المريض في فراشه منهكاً لمدة يومين ثم يشفى. وهذه الطريقة متبعة في قرى بيش بمنطقة جازان.

ومن الأمراض التي تعالج بالكي؛ الحاشر وهو الربو، ويعرّفه بعض الأطباء الشعبيين بأنه ضيق في مجاري التنفس. وقد يدخُل فيها حساسية بالصدر. ويعالج الربو بالكي في منطقة الرقبة، على حسب اتجاه الألم، سواء أكان بالجهة اليمنى أم باليسرى أم بكلا الجهتين. مع تطبيق الحمية كما في الصرع. إلا أنه يضاف هنا الامتناع عن المواد الحريفة (ذوات الطعم الحار) والباذنجان والخيار ولحم ذكور الأنعام. ويشير بعض الأطباء الشعبيين إلى أن مريض الربو لا يكوى إذا كانت معه حساسية. ويعالجه بعضهم أولاً بالأدوية العشبية، مثل الجثجاث الذي يجب أن

يُقطع قبل طلوع الشمس. وإذا لم يُجْدِ العلاج بالأعشاب، يكوى المريض بين الخنصر والبنصر في اليد اليمنى للمرأة، واليد اليسرى للرجل.

أما النوط فهو عبارة عن ضيق في التنفس عند بذل مجهود مثل المشي السريع أو الصعود أو النزول، ويعالج بالكيّ كما يعالج الربو.

وتعالج البواسير كذلك بالكي، وهي احتقانات دموية في فتحة الشرج أو بالقرب منها. وقد تكون داخلية أو خارجية. ويكون الكيّ في الساق فوق الكعب، كما تطبق حمية مرض الربو.

والنواسير (النواصير) كالبواسير، وهي نوع من الدمامل الخارجية، التي توجد بالقرب من فتحة الشرج، أو أسفل العمود الفقري (العصعص) وتسبب تقيحات، وتحدث آلاماً شديدة للمقعدة. وتعالج النواسير كما تعالج البواسير مع تطبيق الحمية السابقة نفسها. ولكن نسبة الشفاء فيها أقل من نسبة شفاء البواسير. ويرجع ذلك إلى أن الحياء يمنع كثيراً من المصابين بمثل هذا المرض من عرضه للعلاج، تطبيقاً للمثل الشعبي «علة ذنب لا تنشكى ولا تنبكي».

ويفيد الكي في علاج الإفرازات اللزجة ذات اللون الأصفر التي تخرج من القضيب أو المهبل. وتُعالج -كما يذكر ذلك صالح الصمعاني- بالكي في موضعين على جانبي الظهر فوق مفصل الورك. ويكون الكي في الجانبين الطرفيين من الظهر، ولا يقرب أبداً من وسط الظهر، لأنهم يرونه سبباً في قطع النسل. وقد يكون وراء ذلك تعليل طبي! فهناك مركز للانتصاب عند نهاية السلسلة الفقرية!، كما تُطبق الحمية السابقة أيضاً.

ومن الأمراض التي يجدي معها الكي الوِشْره، ويفسرون حدوثها بأنها انفراج يسير جداً في ملاحم عظام الرأس (الجمجمة)، ومن أبرز علاماتها الهذيان والسلوك المضطرب، وأحياناً العنف. فالمثل «طار من راسه وشره» يقال لمن أصيب بالهذيان أو نحوه، كما يقولون «ما براسه ولا وشره» كناية عن منتهى الخبل أو الجنون. ويشير بعض الأطباء الشعبيين إلى أن من علامات الوشرة المهمة، بجانب الهذيان، برودة الجسم. وللعلاج يحلق رأس المريض تماماً لتحديد مكان الوشرة. ويذكر علي المزروع - أحد الأطباء الشعبيين المعاصرين- أنه لتحديد مكان الوشرة يؤخذ عدس وبذر جرجير، ويضافان إلى كمية متساوية من الخل الأبيض والماء، ثم يربط ذلك على

الرأس ويترك ٢٤ ساعة تقريباً. وعند كشف الرأس في اليوم التالي، يُرى بالرأس مكان مرتفع أو منخفض، ويكون ذلك المكان هو الموضع المحدد للكي. وغالباً ما يكون الموضع على امتداد الأنف مباشرة. ويتم الكي بأن يُعَرْقى على الرأس والملحم، أي يكون على شكل خطين متقاطعين +. ويحمى المريض عن الحوامض ولبن الإبل.

وتعالج النفره بالكي كذلك، وهي حبة ذات صديد وألم تصيب الأنف أو الحلق أو الأسنان. ويكون موضع الكيّ لعلاجها عند مؤخرة الرأس (العلباة) أي العلباء أو على اليافوخ (أعلى الرأس)، أو في الموضعين معا. ويحجب بعد ذلك المريض عن البُرْ والماء المغلي.

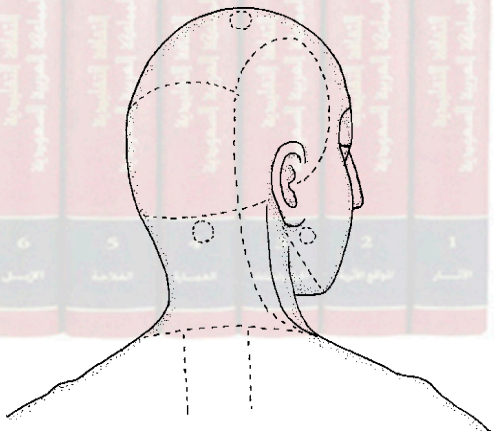

موضع كي النفره

والفهق -أيضاً- من الأمراض التي تعالج بالكي، وهو عبارة عن تباعد أو اختلال الفقرات (الخرز). ويتم عادة كيُّ المكان نفسه.

ويعالج بالكيِّ أيضاً عددٌ من الأمراض التي تصيب العين، وتسمى أم ذيل. ويصنِّفها بعض الأطباء الشعبيين إلى خمسة أصناف، هي: انقباض سواد العين، وعلامته عدم القدرة على النوم إطلاقاً. ونزول البياض، أي بياض العين، على سوادها (أشرطة حمراء). وتَكَوّنُ نقط بيضاء صغيرة حول سواد العين يحيط بها احمرار. وشهابة العين، أي أن تكون العين شهباء اللون، وتعالج بالكي بحذر في مواقع معينة، مع حمية المريض عن الجماع، واقتصار أكله لفترة معينة على خبز البُر. وذرارة العين (الضواة أو الذررة) من أمراض العين التي تعالج بالكيِّ؛ وهي عبارة عن بياض في العين، يبدأ من أحد أطراف صْبيّ (بؤبؤ) العين على هيئة نقطة صغيرة بيضاء، تزحف على صبي العين، فإن لم تُعالج تكبر حتى تغطيه ويعمى المريض، ولعلاجها تكوى العين فوق الجفن أربع كيات متجاورات، والمكوى المستخدمة في هذه الحالة إبرة مخيط، أو يكوى المريض كية واحدة فوق الأذن تماماً في جهة العين المصابة، وأخرى في مؤخرة

الرأس من الخلف على نهاية منبت الشعر. وخلال ثلاثة أيام تذوب الذررة (البياض).

ومن أمراض العين السارق، وهو ضمور إحدى العينين أو كلتيهما، مع حدوث ألم شديد كأنه وخزة مسمار، ونزول دمع كثير واحمرار العين. وعلاج هذا المرض في جازان هو الكي، حيث يكوى المريض بإبره (مِسَلَّه)، وهي إبرة مخيط كبيرة الحجم، تثبت في عود قصب وتُحْمى في النار حتى تحمر، ويكوى المريض على عرق فوق جفن العين المريضة، وتشفى بإذن الله.

وفي بعض مناطق جازان الموبوءة بالملاريا (الثلث)، كان أسلوب العلاج السائد هو كيّ المصاب ثلاث كيَّات في كل جنب تحت الإبطين، بحوالي عشرة سنتيمترات. ويكوى في أعلى الجبهة كية واحدة، وفي هامة الرأس كية أخرى، وفي نهاية الرأس من الخلف كية ثالثة. ثم تُكوى الرقبة ثلاثاً على كل جانب تحت الأذن، وفي العضدين، وفي منتصف الساقين ثلاثاً في كل جهة.

وفي منطقة عسير عندما يكتمل انتفاخ الخُراج، ويبدأ رأسه في البروز، يؤخذ مخيط ويحمى في جمر متقد حتى يحمر، ثم يُدخل في رأس الخراج بمقدار ٣-٥ سنتيمترات ويخرج. ثم يُدخل مكانه، للعمق نفسه، غصن من الحماط قطف حديثاً، وما زال محتفظاً بالمادة اللبنية التي تظهر من الحماط، أي التين البري أول قطفه. ويكون سُمك الغصن مساوياً لسُمك المخيط الذي كُوي به الخُراج. ويسمى الغصن السريبه، لأن السوائل والصديد تتسرب من خلال فتحة الخراج، والمعروف أن أغصان الحماط مجوفة مثل الأنبوبة. وبعد حوالي أسبوع تتوقف تماماً السوائل المتسربة من خلال غصن الحماط، وعندئذ تُسحب السريبة ويشفى الخراج تماماً، ولا يترك أثراً سوى بقعة صغيرة لا تكاد ترى.

ويُعرف نوعان من الخراريج في جازان؛ الأول أبو كلب، وهي دمامل تحت الإبط، وتعالج بكيِّها في وسط الدمل بمخيط. والثاني مسيكيه، وهي دمامل مقلوبة مخفية تحت الجلد، ويوجد منها نوعان يسميان ذكراً وأنثى، والأخيرة لا يتكون فيها الصديد. وعلاجها كَيُّها بمخيط حولها في أكثر من موضع حتى يمنع انتشارها. وإذا كان فيها صديد فتكوى أولاً بإبرة في وسطها لإخراج الصديد.

ويُعد الكي من أنجع الطرق لعلاج الثآليل وتسمى الثواليل أو الهذاليل أو الخيلان. وطريقته سهلة جداً حيث تُفتل

قطعة قماش من النوع الخشن على شكل سيجارة، ثم تُشعل من أعلاها ويثبّت جزؤها السفلي على أكبر ثؤلول، وهو أبو الثآليل أو أبو الخيلان، ويكون، عادة، أول ثؤلول بدأ ظهوره على جسم الشخص المصاب. وعندما تبدأ لفة القماش في الاحتراق، يشعر المصاب بلذع النار عندما تقرب اللفة من نهايتها وعندئذ يقشط الثؤلول بسرعة، ليوقف ألم الحريق، حيث ينزف دماً أسود اللون. ويمكن ذر رماد لفة القماش على مكان الثؤلول. بعد ذلك يكون الثؤلول على هيئة جرح عادي لا يلبث أن يشفى ويتقشر. وبعد حوالي عشرة أيام من قشر الثؤلول الكبير يقوم المصاب بحك الثآليل الأخرى بإصبعه، فتزول بسرعة متناهية، وكأنه يقشر شيئاً لاصقاً بيده. وهذه الطريقة منتشرة في بعض مناطق الجنوب. كما توجد طريقة أخرى، وهي كي الثؤلول الأكبر بجمرة حتى يبدأ الدم الأسود ينزف منه، وينتهي تماماً ثم تُزال الجمرة، ولكن الشخص المصاب يتألم كثيراً، ولا يحتمل رؤية الجمرة توضع فوق جلده مباشرة، فضلاً عن حرقها له.

وكان المصابون بمغص وسط البطن، وخاصة في مكان السرَّة، يعالجون بكيِّهم حوالي ٧-٨ كيات حول السرة، باستخدام مخيط صغير.

ويصيب بعض الناس، من جراء أكل الدهون ثم شرب ماء شديد البرودة، مرض يسمى البرودة، وهو ما يسمى في القصيم الوثاب حيث يشعر المريض بالرغبة في التقيؤ، مع دوخة وخمول. ولعلاج هذه الحالة كَيٌّ معروف مشهور في المنطقة الجنوبية، حيث تؤخذ سكينة أو محشّ، وتحمى في النار حتى تصير شديدة الاحمرار، ثم يكوى آخر أسفل القدم، ويكون الكي على هيئة العرقاة، أي خطين متقاطعين (علامة الزائد +). وكثير من أبناء الجنوب يكوون أرجلهم بأنفسهم عندما يصابون بهذا المرض، الذي يُسمى في الباحة الخظر.

كما يصاب كثير من الأطفال بالمرة، وهي ضعف شديد وعدم رغبة في الطعام، وتخرج منهم غازات كثيرة ذات رائحة كريهة، تسمى في منطقة حائل بالأخت أو الخشه. ولعلاج هذه الحالة، يُكوى الطفل في بطنه حوالي عشرين كية. والمكوى المستخدم في هذه الحالة مخيط صغير، أو أحد أضلاع الشمسية (المظلّه). ويكون الكي بسرعة فائقة بحيث لا يستغرق أكثر من عشرين ثانية.

ومن أمراض الأطفال المعروفة الفريحاء، وتعرف في بعض مناطق المملكة بأم الصبيان. وهي مرض يصيب الأطفال الصغار خاصة، حيث يغمى على الطفل فجأة ويزرق لونه، وتعاوده هذه الحالة بين فترة وأخرى. ويعتقد بعض الناس أنها إحدى حالات الصرع ولكن هذا الاعتقاد ليس صحيحاً. وتعالج بكيٍّ الطفل عندما تصيبه النوبة، أي وهو مغمّى عليه، كية واحدة في منتصف أعلى الجبهة على حد منبت الشعر، فيفيق من إغماءته ويشفى من مرضه.

كما اشتهر استخدام الكي، خاصة في البادية، عند التعرض لعضات الكلاب أو الثعالب المسعورة (الحصاني واحدها حصني أو أبا الحصين)، أو الأفاعي السامة، حيث يتلف الكي تأثير السّعر أو السُّم كلياً أو جزئياً. كما يُستخدم الكي لعلاج عدة أمراض أخرى، منها خروج الصديد من الأذن، وآلام الحنك، وآلام الأنف وغير ذلك.

ويقال إن الجلطة الدماغية تعالج بالكي، خاصة عقب حدوثها مباشرة. فيكوى المريض خمس كيات في الرأس، يحدد موقعها الطبيب بوضع يده على شكل مخلب فوق الرأس، بحيث تكون متفرقة الأصابع فتوضع علامات الكي في مواقع الأصابع.

ويسمى كي البطن رشْ، لأنه يتم بمخيط صغير، وينتشر كرش المطر متفرقاً دون وضع علامات، وأكثره خاص بالأطفال.

ويكوى مغص أم مسبك رشاً في البطن، ولكن في دائرة قطرها ٧سم تقريباً خلافاً للرش السابق، الذي ينتشر في دائرة قطرها ١٥سم.

ويمكن علاج عدد كبير من الأمراض بالكيِّ، لكن مع ملاحظة أن لكل مرض منها موقعاً دقيقاً خاصاً به، يحدده الطبيب الشعبي نفسه. فمن هذه الأمراض الشلل الكامل، والوسواس (الهذيان)، والنسيان، والأرق، والتوتر العصبي، وفي أحيان نادرة أمراض العين مثل اتساع حدقة العين أو ضيقها.

كما يعالج بالكي أيضاً عدد آخر من الأمراض مثل رياح الخاصرة؛ وربما يقصد بها المغص الكلوي، ولعلاجها يتحسس الطبيب الشعبي مواضع الألم ويحددها بعلامة بالفحم، ثم تكوى تلك المواضع. وأما رياح البطن (القولون) فيعالج بكيّ المريض حول السرة. وجنب الجوف، وهو ألم في القلب، يعالج بكي المريض في طرف ساعد الذراع اليسرى. والإسهال الذي يعالج بكيّ المريض كيتين متعامدتين، على شكل عرقاة + في أسفل العرقوب. والفرحه، وهي نوع من التشنج يصيب الأطفال،

عادة، وتشابه الفريحاء في منطقتي عسير والباحة، وعلاجها الكي بعود مَرْخٍ على الجبهة. والبَرَص كذلك يمكن علاجه بالكي. ويذكر أن رجلاً كان لديه بدايات برص في الرجلين، فكُوِى بسِلْكٍ على مفاصل أصابع اليدين والقدمين، فتوقف البرص تماماً. كما تعالج حمى الثليث (حمى الربع)، حيث يصاب المريض بالحمى يوماً، ثم تعاوده بعد يومين، بالكيِّ في نهاية إصبع الخنصر من الظهر. والشربه، وهي كحة مع بلغم شديد، تعالج بكيّ المريض في قاعدة الإبهام، في الجهة التي تؤلمه، بخلال بيت شَعر. وتعالج في شمال المملكة الزائدة الدودية، التي تعرف عندهم بالموليه بكيّ المصاب فوق السرة على شكل عرقاة + فوق مكان الزائدة أو بشكل منحنٍ مثل الهلال.

ويوجد في كثير من أنحاء نجد كيٌ من غير مرض، وهو كالقَدْحَه (وتجمع على قداح)، وهو كيّ خاص بالذكور دون الإناث. ويكون في جوانب الساقين أو ظهر الساعدين. ومنه ما يتخذ لعلاج بعض الآلام في الساقين أو الذراعين، ومنه ما يتخذ للزينة. ويعتقد الصبية أن مَنْ في ساقيه بعض القداح يكون سريعاً في الجري، ومن به قداح في يديه فإنه يجيد الرمي كما أسلفنا. وقد اختفت هذه الظاهرة الآن تماماً، بينما تجد الكثيرين ممن تجاوزت أعمارهم ٥٠ سنة، بهم قداح سواء في الساقين أو أحدهما أو في الذراعين أو أحدهما. وصفة هذا الكي أن تُلف شريحة من القماش وتبرم بحجم لفافة التبغ (السيجارة) ثم تلزق بلعاب على الساق أو الذراع وتشعل فيها النار، حتى إذا وصلت النار إلى الجسم وكوته، نزعت اللفافة. ثم يقشر مكان الكية ويترك يتقيح حتى يشفى، ويبقى له أثر واضح على صفحة الجلد.

الحُجْبَه

وهي من العادات الصحية الشهيرة، وتسمى عند الناس الآن بالحمية لأنها حجب للشخص عن تناول بعض ما اعتاده من الأطعمة أو الأشربة أو غيرها. والحمية نوع من الممارسات الطبية المعروفة منذ القدم إلى يومنا هذا. وهي استطباب ممارس لدى معظم الأطباء الشعبيين في المملكة. وتختلف حسب نوع المرض وسن المريض. فقد يُمنع عن الجماع فقط، وقد يطلب منه ألا يأكل إلا خبز البُر فقط، على حين أنها قد تمتد لتشمل أشياء كثيرة. فهذا أحد الأطباء الشعبيين يصف لمرضاه أدوية أسماها حلة الباطنية، ودواء الصدر والربو، ويعطي لكل مريض -يصف له الدواء- ورقة يصف فيها طريقة الاستعمال، والحمية. وقد أورد الحمية تحت عنوان:

الأشياء الممنوع استعمالها، فقال: يمتنع أربعين يوماً عن لحم البقر والجمال والسمك والحوامض والفول والعدس والعنب والتمر الشبيبي والخنيزي الأسود والتراز (الفلفل الحار) ولحم العنز والباذنجان والدجر (اللوبيا) والرز الصناعي والموز والتفاح والبيض والدجاج والمشروبات الغازية وشرب السوائل الباردة، ويمتنع عن الجماع وحمل الأشياء الثقيلة والنوم في الصباح ورفع الصوت العالي.

كما أفرد لما يسمح بأكله عنواناً خاصاً، أسماه: الأشياء التي تؤكل، فقال: هي لحم الخروف والسمن البري وسمن البقر والحليب والرز البشاوري والرز الزراعي والبر النقي والباميا والطماطم والكوسة والجح (البطيخ) والشمام والحائل من الضأن والعسل ومربى (جام) الجح والزبدة والقشطة والمكرونة والسليق والجزر والملوخية. ثم أعطى ملاحظة وقال: حلة الباطنية لا تعطى لصغير السن، ولا للمرأة الحامل، ولا لصاحب قرحة المعدة.

وعلى حين يختلف معظم المعالجين الشعبيين في وصفهم للحمية، فإنهم يكادون يجمعون على منع المريض من الحَوَارّ (الشطَّات)، إذا كان يشكو من جهازه الهضمي. وعلى منعه من الجماع، إذا كان يشكو من آلام في منطقة الظهر.

وفي الباحة تختلف الحِمْية عن الحُجبة فالأولى تعني الامتناع عن تناول أطعمة معينة أثناء التطبيب، أما الحجبة فتعني عدم رؤية المريض للناس والضوء لمدة يحددها الطبيب الشعبي المعالج.

علاج العيون

من أمراض العين الظفره، وهي ناتجة عن التهاب، فتتدلى لحمة من داخل جفن العين فتغطي بؤبؤ العين من الجهة العليا. وتعالج الظفرة باستئصالها، فيقلب جفن العين إلى أعلى، فإذا برزت تلك اللحمة قطعت، ثم يذر عليها قليل من الملح. وبعد دقائق يؤمر المريض بإطباق عينه لمدة يوم كإجراء وقائي.

كما عرف الطب الشعبي كشط العين، وعَرف أيضاً تجلية العين. ويسمى الشخص الخبير في كشط العين المُجْلِي. والكشط هو حك البياض في العين، الذي يعرف بالماء الأبيض. والمِكْشط، الذي يستخدمه الكاشط، مرود صغير من الذهب أو الماس، يعرف أيضاً بالميل. ولإجراء عملية كشط بياض العين، لا بدّ أن يكون المجلي ملماً بعملية الكشط. ومن أشهر المجلين، في منطقة جازان، علي بن محمد حكمي، وقد قام بإجراء العديد من العمليات. وفي الباحة يسمى

الكاشط القاشي، وقد اشتهرت أسرة الغابش من بلجرشي بالمهارة في جلي العيون، حتى أصبح من يمارس ذلك منهم يدعى القاشي، وكانت دارهم أشبه بالمستشفى يؤمها الناس ويبقون فيها للعلاج أياماً وربما أسابيع، وكان بعض أفراد هذه الأسرة يسافر إلى الرياض والقصيم وحائل والمدينة لعلاج بعض الحالات بناء على طلب من أصحابها. وكان منهم من يُجري عمليات استئصال بعض الأورام العادية والدمامل. وتبدأ عملية الكشط بأن يُعقم المجلي الميل الذي سيستعمله، وذلك بغليه في الماء، ثم يضع قطرة مخدر في العين، ويدخل الميل أو المكشط من ركن العين في بياضها بعمق حوالي نصف سنتيمتر، ثم يسحب الميل للخارج. فتخرج المياه البيضاء مثل الخيط ويبصر المريض في الحال. وبعد إجراء العملية يُنصح المريض بالاحتجاب في منزل المجلي، لمدة خمسة وعشرين يوماً أو أكثر (الاحتجاب عدم الخروج من الغرفة) وذلك من أجل حماية العين من الشمس والهواء والغبار. وتستعمل بعض الأدوية لتخفيف الألم، مثل القطرات والمراهم ومسحوق البنسلين المضاد للالتهابات والبكتيريا. ويربط على العين المصابة بالشاش، ويستعمل بعد فترة كحل إثمد.

بعد سحب المياه البيضاء من العين ينام المريض على ظهره لمدة أربعة أيام. وينصحه المجلي بالابتعاد عن الجماع لمدة ثلاثة أشهر. كما يُنصح المريض بشرب الحليب والسوائل، ويُحذّر من تناول الطعام الصلب لمدة أربعة أيام. وبعد انتهاء مدة الحجبه، ينصح المجلي المريض باستعمال نظارة ملونة. وإذا كانت العينان مصابتين بالمياه البيضاء، فإن المجلي يكشط واحدة منهما أولاً، ثم يكشط الأخرى بعد مرور سبعة أيام.

علاج الأسنان

كان علاج الأسنان نوعاً من الممارسة الطبية الشعبية الشائعة فيما مضى، لتعذر أية وسيلة أخرى لتسكين الألم أو لبرء السن المصاب. وبداهة لم يكن هناك مسكنات للألم، ولا مخدرات موضعية، وإنما يستفاد مما يتوافر من المواد الطبيعية الموجودة. فكانت تستخدم البراعم الزهرية للقرنفل، مسحوقها أو زيتها، ويوضع أي منهما على مكان الألم، فيخفف من ألم السن (الضرس). وهو أمر مقبول علمياً، حيث ثبت أن القرنفل يحوي، من بين مركبات زيته العطري، مركباً يسمى اليوجينول له تأثير مخدر موضعي. ويوجد حالياً في الصيدليات زيت مسكن للألم يعرف بزيت

القرنفل. وكانوا في الباحة يعالجون التهاب الضرس بإحراق نباتي العرفج والسذاب، وهما من نباتات البيئة، وينكفىء المريض على الدخان المتصاعد وبذلك يسكن الألم تماماً. ومن المعلوم أن ألم التهاب الأسنان من أشد الآلام، ولذا يقول المثل الدارج «لا هم إلاّ هم العرس، ولا وجع إلا وجع الضرس» إلا أنه عورض من أحد سامعيه الذي قال «لا هّمّ إلا همّ الدْين ولا وجع إلا وجع العيْن». ويقوم الطبيب الشعبي بخلع الضرس مستخدماً لهذا الغرض المقلاع، وقد يسمى المخلاع أو الْكْلاب وهو أداة للخلع كانت تصنع محلياً، ومن الممكن أن تكون على عدة أشكال يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يسيرًا.

ومن الأدوات التي كانت مستخدمة في علاج الأسنان ما يعرف بالمصخي، وهو عبارة عن أداة من الحديد ذات طرف أمامي حاد. وسمي بهذا الاسم لأنه يصخى به اللحم المحيط بالأسنان عند الحاجة لذلك. ويضع الطبيب الشعبي هاتين الأداتين في كيس خاص من القطن، ثم في آخر من القماش.

علاج اللهاة

اللهاة زائدة لحمية بحجم وشكل قلب العصفور الصغير، يمكن رؤيتها عند فتح الفم مدلاة في نهاية سقف الحلق، ولها وظيفة مهمة وهي تنظيم دخول الهواء من الفم إلى الرئتين. وتسمى أيضاً حليق الموت أو لسان الموت أو لسيِّن الموت، وفي الباحة تسمى زب اللسان، وفي المنطقة الشمالية تسمى الزُلْعَمَّه. وقد تلتهب هذه اللهاة عند الأطفال الرضّع، حيث تتورم وتتقيح وتمتلئ بالصديد، وقد تصل إلى حجم الكرزة الصغيرة، وتصبح مؤلمة للطفل فيمتنع عن امتصاص الحليب من ثدي أمه لأنه لا يستطيع ابتلاعه، فيهزل وقد يموت بسبب الجوع إذا لم تنتبه الأم إلى مكان الألم الذي يشكو منه رضيعها.

وعلاج اللهاة بسيط، فهناك بعض النساء وخصوصاً العجائز ممن يعالجن هذه الحالة التي تسمى عند أهل منطقة الشمال الطنطاف حيث يقلن أن الطفل مطنطف أي أن لهاته متورمة وملتهبة ومتقيحة، فتقوم العجوز أو المرأة المعالجة بوضع خشبة صغيرة تستعرض الفم من الفك إلى الفك المقابل فيبقى فم الطفل مفتوحاً. ثم تبل إبهام يدها وتضعه في الملح الخشن أو السكر أو البن الخشن وتدعك اللهاة بابهامها وعليه الملح أو البن دعكاً شديداً فتنفجر اللهاة ويخرج منها الصديد فيقبل الرضيع فوراً على ثدي أمه ويمتص الحليب ويبلعه ويسترد عافيته.